



المشروع الإيراني في المنطقة

«واقع ومستقبل ما بعد الثورات العربية»

علي حسين باكير

باحث في منظمة البحوث الاستراتيجية الدولية (USAK) - أنقرة .

ملخص الدراسة

أعادت الثورات التي تشهدها بعض الدول العربية خلط الأوراق الجيو-بوليتيكية في المنطقة العربية بشكل كبير، وعلى الرغم من أنّ الشكل النهائي لما سينتج عن هذه الثورات لم يظهر بعد، إلا أنّ معظم الفاعلين الإقليميين يعتقدون أنّ الفرصة سانحة لاستغلال، وتوجيه هذا التحول لصالحهم، قبل أن يرسو باتجاه مضاد لنفوذهم الإقليمي.

اللاعب الإيراني هو واحد من بين هؤلاء اللاعبين الذين كانوا يعتقدون أن الثورات تصبّ في مصلحتهم؛ لأنها تقتصر حصراً على الدول الحليفة للولايات المتحدة، إلا أنّ الأمور سرعان ما انقلبت مهددة المشروع الإيراني الإقليمي برّمته مع وصول الثورات إلى سوريا؛ حيث النظام السوري الحليف.

يتناول البحث المشروع الإقليمي الإيراني وأدوات تنفيذه ومستقبله بعد التطورات في المنطقة العربية. وتكمن أهمية الموضوع في كونه يركّز على المشروع الإقليمي الإيراني في مرحلة مفصلية في ظل التطورات الداخلية التي تشهدها نزعاً بين رئيس الجمهورية الإيرانية ومعسكره وحلفائه، وبين الولي الفقيه المرشد الأعلى وتابعيه ومريديه، والتطورات الخارجية الإقليمية وعلى رأسها الثورات العربية.

ويقوم البحث بنقل الثورات العربية من خلال العدسة الإيرانية؛ ليربط من خلالها انعكاسات الثورات على إيران، ومستقبل المشروع الإيراني في ظل هذه الانعكاسات.

ورغم أنّ الجزم بربح أو خسارة إيران، وتقدّم أو تراجع المشروع الإيراني بشكل قاطع وبائن غير ممكن حالياً، بانتظار وضوح الأحداث كلياً، إلا أنّ ذلك لا يلغي إمكانية تقديم تصوّر مستقبلي لانعكاسات الثورات العربية على مصالح إيران والمشروع الإيراني في الدوائر العربية المختلفة، بما في الانعكاسات العامة المحتملة على المدى القصير والمتوسط والبعيد من خلال المعطيات المتوافرة.

وإذا كانت إيران قد تحقّق بعض المكاسب على المدى القريب، فإنه من المنتظر أن تعاني إيران على المدى المتوسط والبعيد من خسائر فادحة، قد تكون الأكثر كلفة على الإطلاق منذ الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، خاصة إذا ما أدّت الثورات إلى سقوط النظام السوري، وهو ما سيتبعه تراجع دراماتيكي للنفوذ الإيراني في المنطقة العربية، بدءاً من فلسطين، ومروراً ببلبنان والعراق والخليج، وانتهاءً بإيران نفسها؛ حيث يتربّع العديد من الشرائح المعارضة للنظام الإيراني مصير النظام السوري كمؤشر على وضع النظام في طهران.

المشروع الإيراني في المنطقة

«واقع ومستقبل ما بعد الثورات العربية»



علي حسين باكير

باحث في منظمة البحوث الاستراتيجية الدولية (USAK) ^(١) - أنقرة

مقدمة:

أعادت الثورات التي تشهدها بعض الدول العربية خلط الأوراق الجيو-بوليتيكية في المنطقة العربية بشكل كبير، وعلى الرغم من أنّ الشكل النهائي لما سينتج عن هذه الثورات لم يظهر بعد، إلا أنّ معظم الفاعلين الإقليميين يعتقدون أنّ الفرصة سانحة لاستغلال، وتوجيه هذا التحول لصالحهم، قبل أن يرسو باتجاه مضاد لنفوذهم الإقليمي.

اللاعب الإيراني هو واحد من بين هؤلاء اللاعبين الذين كانوا يعتقدون أن الثورات تصبّ في مصلحتهم؛ لأنها تقتصر حصراً على الدول الحليفة للولايات المتحدة، إلا أنّ الأمور سرعان ما انقلبت مهددة المشروع الإيراني الإقليمي برؤيته مع وصول الثورات إلى سوريا؛ حيث النظام السوري الحليف.

وفي هذا الإطار يتناول البحث مستقبل المشروع الإيراني بعد التطورات في المنطقة العربية. وتكمن أهمية الموضوع في كونه يركّز على المشروع الإقليمي الإيراني في مرحلة مفصلية في ظل:

١- التطورات الداخلية التي تشهد نزاعاً بين رئيس الجمهورية الإيرانية ومعهسكره وحلفائه، وبين الولي الفقيه المرشد الأعلى وتابعيه ومريديه. ^(٢) ناهيك عن الشكوك التي تثار حول مستقبل المرشد الأعلى وولاية الفقيه. ^(٣)

٢- التطورات الخارجية الإقليمية التي تشهد ثورات شعبية عربية في عدد من الدول العربية، سواء الحليفة لها، أو تلك التي لا تتوافق مع إيران على السياسة الإقليمية.

وينظر البحث إلى الثورات العربية من خلال العدسة الإيرانية؛ ليربط من خلالها انعكاسات الثورات على إيران،

(١) البحث قد لا يعبر بالضرورة عن رأي (USAK) وإنما يعبر عن رأي الباحث.

(٢) للتفاصيل حول هذا الموضوع يمكن مراجعة المقالات التالية للباحث:

- النجادية في مواجهة الولي الفقيه: معارك تحديد النفوذ بين المرشد والرئيس، إسلام أون لاين، ٢٠١١/٥/٢، على الرابط التالي:

http://www.islamonline.net/ar/IOLArticle_C/1278407837266/1278406720653/IOLArticle_C

- محددات فهم الصراع على السلطة في إيران: تحالف النجادية مع «العقيدة المشائية» ضد ولاية الفقيه، مجلة البيان، عدد ٢٨٧ - رجب ١٤٣٢ هـ/

<http://www.albayan.co.uk/text.aspx?id=951>

حزيران ٢٠١١م، على الرابط التالي:

(٣) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع وعملية استخلاف المرشد الحالي، انظر:

- المرشد الأعلى القادم في إيران، تقرير راند، قراءة علي حسين باكير، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، ٢٠١١/٣/٢٠، على الرابط التالي:

www.aljazeera.net/NR/exeres/1B752347-3B93-4AEF-B8E2-202CC7A2877E.htm

المشروع الإقليمي الإيراني وأدواته

أولاً: ماهية المشروع الإقليمي الإيراني:

يعتقد كثيرون أنّ مجرد الحديث عن مشروع إيراني في المنطقة العربية مسألة تتعلق بموقف عدائي مسبق من إيران، وأنّ الباعث لهذا تصورات غير موضوعية عن دور وسياسة إيران في المنطقة، في الوقت الذي تهدف فيه إلى الدفاع عن القضية الفلسطينية والمقدسات الإسلامية في وجه الولايات المتحدة وإسرائيل.

من الطبيعي أن لا ننتظر أن يطرح الإيرانيون مشروعهم الإقليمي القائم في المنطقة العربية بشكل علني أو واضح، صريح أو شفاف؛ لكونه يقوم على مبررات غير مشروعة، وأطماع تاريخية تقوم على متلازمة الهيمنة والسيطرة الفارسية، لكن يمكن تلمس معالمه من خلال المواقف والتصريحات وحتى الأطروحات الإيرانية الحديثة.

مثل وجهات النظر هذه، كانت منتشرة بشكل كبير في العالم العربي حتى وقت قصير، لكنّ تطور الأحداث في المنطقة كشف حقيقة أنّ المشروع الإيراني ليس وهماً نختلقه من عندنا، ولا تضخيماً نستجلبه، وإنما هو حقيقة واقعة.

من الطبيعي أن لا ننتظر أن يطرح الإيرانيون مشروعهم الإقليمي القائم في المنطقة العربية بشكل علني أو واضح، صريح أو شفاف؛ لكونه يقوم على مبررات غير مشروعة، وأطماع تاريخية تقوم على متلازمة الهيمنة والسيطرة الفارسية.^(١)

لكن يمكن تلمس معالمه من خلال المواقف والتصريحات وحتى الأطروحات الإيرانية الحديثة، وكلها تدور حول رؤية الإمام الخميني التي تجسّد جوهر المشروع الإيراني الطموح الذي عبّر عنه بنفسه، وفق ما نقله عنه الرئيس الإيراني السابق أبو الحسن

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذه الفكرة، انظر: علي حسين باكير، السياسات الجيوبوليتيكية الإقليمية لإيران: تفسير نزعة الهيمنة والسيطرة «ما الفرق بين إيران وإسرائيل؟»، دورية مدارات استراتيجية - مركز سبأ للدراسات الاستراتيجية، العدد ٣، مارس/يونيو ٢٠١٠م،

على: <http://alibakeer.maktoobblog.com/1599639>

ومستقبل المشروع الإيراني في ظل هذه الانعكاسات. ويحاول في هذا الإطار الإجابة على عدد من الأسئلة التي تشكّل جوهر الموضوع، والإشكالية الأساسية: ما هي رؤية طهران لواقع التغيير في المنطقة؟ ما هي الانعكاسات التي تركتها الثورات العربية على

النفوذ الإيراني في المنطقة؟ ما هو مستقبل المشروع الإقليمي الإيراني في ظل هذه الانعكاسات؟

ويتألف البحث من ثلاثة محاور، وخاتمة تتضمن خلاصة واستشراقاً مستقبلياً، ويتوزع على الشكل التالي:

- المشروع الإقليمي الإيراني وأدواته:

- ماهية المشروع الإقليمي الإيراني.
- أدوات تنفيذه.

- رؤية إيران لواقع التغيير الثوري في المنطقة العربية:

- الموقف الإيراني من الثورات العربية.
- منطلقات وأهداف التنظير الإيراني لهذه الرؤية.
- انعكاسات الثورات العربية على المشروع الإيراني في المنطقة:

- دائرة الخليج العربي واليمن.
- دائرة مصر.
- دائرة فلسطين ولبنان.
- دائرة سوريا.

خاتمة: خلاصة ومستقبل المشروع الإيراني.

ومن المفيد الإشارة في هذا السياق إلى أنّ المنهج المستخدم في البحث استند في مجمله على المزج بين أدوات المنهج الوصفي فيما يتعلق برؤية الدولة الإيرانية لواقع التغيير في المنطقة العربية، وبين أدوات المنهج التحليلي الاستنباطي والاستقرائي في المحاور الأخرى.

٢- مشروع «الاستراتيجية الوطنية - نظرية أم القرى»^(٤)

وصاغها محمد جواد لاريجاني، وكان من كبار صنّاع السياسة الخارجية الإيرانية، وكبير مستشاري الرئيس الإيراني آنذاك هاشمي رفسنجاني. وضع لاريجاني أفكار هذه الاستراتيجية في الثمانينيات، وتم استئنافها في التسعينيات، ويقوم من خلالها بإعطاء هالة من القدسية لموقع إيران في العالم الإسلامي (يعتبرها أم القرى وأن واجب الدفاع عنها يعلو أي مصلحة أخرى)^(٥)، كما في إعطاء أهمية قصوى لموقع إيران الجيوبوليتيكي في السياسة الخارجية للتمدد الإقليمي وفرض الهيمنة.^(٦)

تؤكد هذه الاستراتيجية في خطوطها العريضة على ثلاثة عناصر رئيسية بالنسبة لإيران:^(٧)

- الحفاظ على الطابع الإسلامي للنظام الإيراني، وعلى موقع إيران في العالم الإسلامي.
- الدفاع عن أمن إيران.
- التوسع إقليمياً.

ويفسّر لاريجاني النقطة الأخيرة بقوله: هذه الاستراتيجية تحتمّ على إيران أن لا تحد حدودها

(٤) للمزيد من التفاصيل، انظر:

Mohammad Mohaddessin, Islamic Fundamentalism - The new Global Threat -: chapter IV, «Mother of All Islamic Lands»-The Mullahs> Foreign Policy, 1993, at this link <http://islamic-fundamentalism.info/chIV.htm>

(٥) للمزيد من التفاصيل حول نظرية أم القرى في الاستراتيجية الوطنية الإيرانية، راجع: إيران أم القرى كما صاغها محمد جواد لاريجاني في كتابه «مقولات في الاستراتيجية الوطنية»، مجلة الراصد، العدد الثامن والستون، صفر ١٤٣٠ هـ، على الرابط التالي:

<http://alrased.net/site/topics/view/1221>

(٦) للمزيد حول الاستراتيجيات الإيرانية في السياسة الخارجية، ومنها نظرية أم القرى، انظر:

Abdolamir Nabavi, The Range in Iran's Idealistic Foreign Policy: Ebbs and Tides, International Politics bi journal, Winter-Spring 2009 , at this link: www.int-politics.com/Articles/No3/ablolamir%20nabavi.pdf (٧) انظر:

Mohammad Mohaddessin, Islamic Fundamentalism - The new Global Threat : chapter IV, Op. Cit.

بني صدر الذي قال: «أخبرني -أي الخميني- أنه كان يريد إقامة حزام شيعي؛ للسيطرة على ضفتي العالم الإسلامي، كان هذا الحزام يتألف من إيران والعراق وسوريا ولبنان، وعندما يصبح سيّداً لهذا الحزام يستخدم النفط وموقع الخليج «الفارسي» للسيطرة على بقية العالم الإسلامي»^(١).

وما يدعم صحة هذا التصور الأطروحات الإيرانية اللاحقة التي أخذت أشكالاً متنوعة على مختلف المستويات: السياسية، والدينية، والأكاديمية، والإعلامية، وتعبّر في جوهرها عن هذا المشروع؛ لأنها تصبّ في خدمة نفس الفكرة، لعل أبرزها:

١- مشروع الشرق الأوسط الإسلامي:^(٢)

وطُرح سياسياً بعد احتلال العراق، وبالتزامن مع مشروع الشرق الأوسط الكبير، علماً بأنّه يتضمن تقاطعات في المنطقة العربية مع المشروع الأمريكي، وهو ما انعكس تفاهماً بين طهران وواشنطن في عدد من المراحل في أفغانستان والعراق تحديداً، وغيرها من المناطق العربية. وتقوم إيران الآن بإعادة الترويج للمشروع حالياً في ظل تفجر الثورات العربية تحت مسمى أنها ثورات صحوة إسلامية مستمدة من ثورة الخميني.^(٣)

(١) مقابلة مع الرئيس الإيراني أبو الحسن بني صدر، برنامج «زيارة خاصة» الذي يقدمه سامي كليب على قناة الجزيرة، حلقة بتاريخ ١٧/١/٢٠٠٠م، مجاوباً على سؤال «هل كان الإمام الخميني يحدّثك عن علاقته بالجوار العربي، مع دول الخليج؟ وهل كانت لديه أطماع للتقدّم عسكرياً تجاه هذه الدول من أجل تصدير الثورة مثلاً؟».

(٢) لمزيد من التفاصيل، انظر على سبيل المثال: إيران تسوق لـ«شرق أوسط إسلامي»، إسلام أون لاين، نت، ٩/٦/٢٠٠٥م، متوافر على الرابط التالي:

www.alwihdah.com/news/news/2010-04-26-667.htm

(٣) انظر على سبيل المثال: نبوءة إيرانية، ثورة مصر تؤسس لشرق أوسط إسلامي، ميدل إيست أون لاين، ٢/٢/٢٠١١م، على:

www.middle-east-online.com/?id=104295

الجغرافية من دورها؛ إذ لا دولة باستثناء إيران باستطاعتها قيادة العالم الإسلامي، وهذه لحظة تاريخية.^(١)

٣- مشروع الاستراتيجية الإيرانية العشرينية (٢٠٠٥ - ٢٠٢٥م):^(٢)

وهي وثيقة رسمية^(٣) تضع التصورات المستقبلية للدور الإيراني خلال عشرين سنة وفقاً للاستراتيجية،^(٤) فمن المفترض أن تحظى إيران بخصوصية على المستوى الدولي، وتتحول إلى قوة دولية (سياسية، واقتصادية، وعسكرية، وتكنولوجية) ومصدر إلهام للعالم الإسلامي؛ اعتماداً على الإرادة الوطنية، والاجتهاد الجماعي، والتعاطي البناء والمؤثر في العلاقات الدولية، على أن ينعكس ذلك إقليمياً في تحقيق عدد من الأهداف:^(٥)

- أن تكون إيران باعتبارها مركز قوة عاملاً للاستقرار والنظام.
- تستطيع إيران عن طريق ازدهار مكانتها أن تحدث توازناً استراتيجياً في المنطقة.
- مع وصول إيران إلى مكانة أفضل يصبح بإمكانها معاقبة اللاعبين الذين يضررون بالتعاون الإقليمي.
- تستطيع إيران أن تحافظ على أمنها وسائر

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) أعطى الدكتور عباس ملكي لمحة شاملة ومقتضبة عنها في مؤتمر خاص، لمزيد من التفاصيل انظر العرض:

Iran>s 20-Year Perspective Document & Iran>s Foreign Relations, Abbas Maleki, 18/5/2005, at: <http://www.caspianstudies.com/Foreignpolicy/my%20new%20article/Iran's%2020-Year%20Perspective%20Document%20&%20Iran's%20Foreign%20Relations.ppt>

(٣) أتت بعد التصور الذي طرحه أكاديميون حول مشروع «حوزة إيران الحضارية» التي تشمل المنطقة الواقعة على حدود الصين شرقاً والمحيط الهندي جنوباً والخليج (الفارسي) غرباً، والقوقاز والبحر الأسود والبحر المتوسط شمالاً.

(٤) لمزيد من التفاصيل، انظر: محسن رضائي بازتاب، إيران والفكر الإقليمي، (الصدى) ٢٦/٣/٢٠٠٥م، نقلته: مختارات إيرانية العدد ٥٨ - مايو ٢٠٠٥م، على الرابط التالي:

www.altanweer.net/articles.aspx?id=20047&page_id=0&page_size=15&links=false

(٥) نفس المرجع السابق.

دول المنطقة في إطار التعاون الإقليمي، ونظراً إلى مكانتها الأفضل، فإنها لن تسمح للآخرين بأن يهددوا مصالحها القومية الوطنية، وقيمها الحيوية.

وبناءً على ما جاء في الوثيقة، فإن إيران بصدد التحول إلى نواة مركزية لهيمنة تعددية داخلية في منطقة جنوب غرب آسيا (أي المنطقة العربية تحديداً التي تشمل شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وسيناء)، وهو ما يعني:^(٦)

أن إيران ستكون بؤرة ومركز منطقة جنوب غرب آسيا، تكرر الوثيقة استخدام هذا المصطلح؛ كي تتجنب ذكر العرب مباشرة، بالنظر إلى قوتها وقدراتها الوطنية، ومكانتها الجغرافية السياسية، والجغرافية الاستراتيجية الاقتصادية، ودورها الاتصالي.

ستلعب إيران دور قيادة التنظيم السياسي والاقتصادي والأمني لهذه المنطقة مع بعض القوى الإقليمية، كما أنها لن تسعى للمواجهة مع قوى الهيمنة الخارجية، إلا في الساحات التي توجد فيها مصالح متعارضة بينهما.

وباستثناء أفغانستان التي تتسبب عادة لوسط آسيا وتركيا لأوروبا، فإن باقي الدول عربية.

ثانياً: أدوات تنفيذ المشروع الإيراني^(٧):

في سعيها لتنفيذ هذه الاستراتيجيات التي تدور حول مشروع واحد، تسخر إيران كل قدراتها السياسية والاقتصادية والعسكرية،^(٨) ويتم توظيف هذه القدرات في إطار ٤ آليات أساسية على الصعيد الإقليمي:

(٦) نفس المرجع السابق.

(٧) انظر: علي حسين باكير، السياسات الجيوبوليتيكية الإقليمية لإيران: تفسير نزعة الهيمنة والسيطرة «ما الفرق بين إيران وإسرائيل»، مرجع سابق.

(٨) للاستزادة حول كيفية توظيف هذه القدرات في خدمة المشروع الإيراني، يرجى مراجعة: المشروع الإيراني الإقليمي والدولي، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، تاريخ ١/٦/٢٠٠٩م.

١- الخطاب الأيديولوجي - الديماغوجي (١):

٢- خلق أذرع وحركات

أما في البلدان التي لا يتواجد فيها الشيعة، فيتم التعويل على حركات إسلامية ذات توجه قريب، أو حتى امتطاء موجتها تحت شعار المقاومة؛ لاستخدامها ك (Proxy)، فيما الهدف الحقيقي استغلالها للأجندة الإيرانية القومية الخاصة. ولم يعد ذلك خافياً على أحد خلال السنوات القليلة

الماضية، ولا يحتاج إلى أي جهد في ظل الشواهد على الأرض، سواء في لبنان، أو فلسطين، أو اليمن أو البحرين، أو غيرها من الدول.

٣- زيادة القوة العسكرية: (٤)

وهدفها فرض إيران كقوة إقليمية ذات ردع استراتيجي، ولهذا نرى أن النظام الإيراني يعتمد تطوير قدراته الصاروخية، وهي قدرات ذات طابع هجومي، إضافة إلى نيته تطوير قدرات نووية كضامن رادع لبقاء النظام، ودعم الارتقاء الإقليمي الذي تقوم به في المنطقة. وهو على الرغم من ذلك يسعى إلى التمدد في داخل الدول العربية عبر السفارات (٥)، أو البعثات، أو المؤسسات،

وهو خطاب شعبي يتمحور حول مهاجمة إسرائيل، وتعظيم شأن فلسطين، دون أن يعكس ذلك حقيقة الأمر (٢)؛ ذلك أن الغاية من هذا الخطاب هي تحريك الشارع العربي، واستقطابه؛ لخلق بيئة مهيأة لتقبل النفوذ الإيراني في العالم العربي تحت شعار مقاومة إسرائيل من جهة، ولزعزعة الأنظمة القائمة عبر ضرب العلاقة بينها وبين شعوبها من جهة أخرى.

موالية لها: ويأتي ذلك في إطار تثبيت الزعزعة التي يحدثها الخطاب الإيراني، وترجمته واقعاً عملياً.

ولذلك نلاحظ أنه في البلدان والأماكن التي يتواجد فيها نفوذ إيراني، هناك حركات وأحزاب تمثل هذا النفوذ بشكل رسمي وعلني، وبتبعية عضوية، وخاصة عندما تكون شيعية كحزب الله اللبناني الذي أعلن أمينه علناً بأنه يفتخر أن يكون فرداً تابعاً للولي الفقيه

(١) مصطلح الديماغوجية: كلمة يونانية الأصل مشتقة من (ديموس) أي الشعب (ووجية) لها عدّة معاني، لكن الغالب أنها تعني العمل، ويصبح المقطع بمعنى «العمل الشعبي». أما الديماغوجية اليوم، فهي تدل على مجموعة الأساليب والخطابات والمناورات والحيل السياسية التي يلجأ إليها السياسيون لإغراء الشعب، وتملق الجماهير، واكتساب رضاها، والتسلط عليها بأن تزين لها أهواءها، وأن تفتتن بحيل الببان وممسول الأنفاظ؛ لاستثارة حماسها ولعلها أكثر مما هو في إرشادها إلى مصالحها الحقيقية. ويقال: «الديماغوجي هو القائد الذي يبشر بمبادئ يعلم هو أنها باطلة لجموع يعلم أنها مغفلة».

(٢) يقول أحد الكتاب الإيرانيين من القومية الأذرية: «أنا مسلم شيعي، لا أستطيع أن أفهم كيف يحاول أن يبرر النظام دفاعه عن فلسطين من منطلق إسلامي، في حين أنه يساند أرمينيا المسيحية التي تحتل ٢٠٪ من أراضي أذربيجان (المسلمة)... في هذا نفاق وتعارض مع الإسلام والطائفة... وهو دليل على التلاعب بالقضية الفلسطينية»، ولا شك أن ما عبر عنه هذا الكاتب لا ينطبق على الحالة الأذرية فقط، بل وكذلك بالنسبة للشيشان في روسيا، بل وفي أفغانستان والعراق، فالاحتل الأمريكي والإسرائيلي يبعد أمتار قليلة فقط عن الحدود، ونرى صفقات وتقاومات هناك، بينما نكافات في أماكن أخرى!!

(٣) للمزيد من التفاصيل حول علاقة حزب الله العضوية بإيران ودوره في المشروع الإيراني، راجع: كتاب حزب الله تحت المجهر رؤية شمولية مغايرة للعلاقة مع إيران وإسرائيل، علي حسين باكير، إصدارات الراصد، ٢٠٠٦م.

(٤) حول قدرات إيران العسكرية، راجع:

Unclassified Report on Military Power of Iran, Congressional Directed Action, April 2010, at:

www.foxnews.com/projects/pdf/IranReportUnclassified.pdf

الترجمة العربية للترتيب قام بها الباحث ومتوافرة في ثلاثة أجزاء على

هذه الروابط: <http://alibakeer.maktoobblog.com/1599675>

<http://alibakeer.maktoobblog.com/1599705>

<http://alibakeer.maktoobblog.com/1599749>

(٥) حتى الدول الإسلامية غير العربية تعاني من استخدام إيران لسفاراتها كوكبر، انظر مثلاً: التشيع يثير قلق الماليزيين، الجزيرة نت، ٢٠١٠/١٢/٣١، على الرابط التالي:

<http://aljazeera.net/NR/exeres/40BB4377-1E2F-4A12-95-DD-C9C351687A53.htm>

وقد شهدنا قديماً مثل هذه الصفقات بين إيران وإسرائيل، وبين إيران وأمريكا، والتي تتجدد في الاستحقاقات الإقليمية المصرية، ما يعني أنها ليست استثناءً، أو حالة شاذة خارجة عن السياق، وإنما نهج متبع يأتي دوماً على حساب دول المنطقة.^(٥) في هذا الإطار، يعتقد رئيس المجلس الوطني الإيراني- الأمريكي، وأستاذ العلاقات

تلجأ إيران إلى الصفقات مع من تصفهم بأعدائها؛ طالما أن ذلك يصب في مصلحتها، وخدمة تحقيق مشروعها في المنطقة العربية ولسياساتها الخارجية دور كبير في تحديد هذا الإطار

الدولية المولود في إيران «تريتا بارسى» أن العلاقة بين المثلث الإسرائيلي- الإيراني - الأمريكي تقوم على المصالح، والتنافس الإقليمي والحيو-استراتيجي، وليس على الأيديولوجيا، والخطابات، والشعارات التعبوية الحماسية، فالمحرك الأساسي للأحداث يكمن في العامل «الحيو-استراتيجي»، وليس «الأيديولوجي» الذي يعتبر مجرد وسيلة أو رافعة.^(٦) لقد استطاعت إيران عبر هذه الأدوات التوسع في مشروعها في المنطقة، وقد وصل المشروع ذروته في السنوات الأخيرة.

هذه المعطيات يعلمها الإيرانيون جيداً؛ فعلى سبيل المثال يقول الباحث الإيراني والخبير في السياسة الخارجية الإيرانية في طهران «فرزاد بيزشكبور» في

وخاصة جهازها الاستخباراتي عبر فيلق القدس، والحرس الثوري الذي يحرص على تعيين ضباط له في البعثات الدبلوماسية،^(١) دون أن ننسى الخلايا النائمة والمنتشرة في كل الدول العربية، وآخرها ما كشفت عنه السلطات الكويتية، ومثلها البحرينية.^(٢)

٤- البراغمية والصفقات:^(٣)

وتلجأ إيران إلى الصفقات مع من تصفهم بأعدائها؛ «طالما أن ذلك يصب في مصلحتها، وخدمة تحقيق مشروعها في المنطقة العربية. ولسياساتها الخارجية دور كبير في تحديد هذا الإطار»^(٤).

(١) كالمسفير الإيراني السابق للعراق «حسن كاظم قمى» والسفير اللاحق أيضاً «حسن داناها» وهم ضباط في فيلق القدس. المرجع السابق.

(٢) للتفاصيل حول شبكة التجسس الإيرانية في الكويت، انظر:

www.alarabiya.net/articles/2010/05/01/107370.html

http://arabic.cnn.com/2011/middle_east/3/29/kuwait.iran/index.html

www.alkhaleej.ae/portal/58bc7e28-ba5b-43af-95a2-eb7d3b6d9e41.aspx

(٣) ننصح مثلاً بقراءة تفاصيل العرض السري الإيراني المعروف باسم «الصفقة الكبرى»، وكنا أول من تناوله في العالم العربي بالتفصيل الدقيق: انظر مثلاً: الصفقة الكبرى: إيران تفجر المنطقة طائفياً بين لبنان والعراق، علي حسين باكير، الإسلام اليوم، ٢٤/١٢/٢٠٠٦م، على الرابط التالي:

<http://alibakeer.maktoobblog.com/183818>

- أمّا البي بي سي فقد نشرت خبرها حول الصفقة في ٨/١/٢٠٠٧م، على الرابط التالي:

<http://www.middle-east-online.com/?id=44396>

- لمزيد من المعلومات التفصيلية راجع: القصة الكاملة للعرض الإيراني السري لعام ٢٠٠٣م، المساومات الأمريكية- الإيرانية... إيران غيت «ثانية أم حرب خليج رابعة، علي حسين باكير، صحيفة السياسة الكويتية، الجزء ١ و ٢، تاريخ: ٦ و ٧/٨/٢٠٠٧م، ويمكن قراءة التقرير على مدونتي على الروابط التالية:

<http://alibakeer.maktoobblog.com/235068>

<http://alibakeer.maktoobblog.com/237089>

<http://alibakeer.maktoobblog.com/239430>

(٤) انظر لمزيد من التفاصيل عن السياسة الخارجية الإيرانية: علي حسين باكير، المشروع الإقليمي الإيراني في ضوء الانتخابات الرئاسية ٢٠٠٩، التقرير الارتياضي الاستراتيجي السنوي للبيان، الأمة في مواجهة مشاريع التفتيت، الإصدار السابع، ١٤٣١هـ، ص ٣٠٣-٣٢٤.

(٥) لمزيد من التفاصيل حول الصفقات والعلاقات الإيرانية الإسرائيلية والإيرانية الأمريكية، يرجى مراجعة:

- عوفر غيت: إيران تسبب إسرائيل علناً وتعاون معها في السر، ميدل إيست أون لاين، ٣/٥/٢٠١١م، متوافر على:

www.middle-east-online.com/?id=111418

- شلومو بن عامي، إسرائيل وإيران وإعادة إحياء مشروع الصفقة الكبرى، ترجمة علي حسين باكير، مجلة الراصد العدد ٥٦، على:

<http://alibakeer.maktoobblog.com/842479>

- علي حسين باكير، «محور المصالح» الإسرائيلي الإيراني الأمريكي، صحيفة الغد الأردنية، ١٠/٧/٢٠٠٨م، متوافر على:

<http://alibakeer.maktoobblog.com/1166371>

(٦) للمزيد حول تريتا بارسى أو كتاب حلف المصالح المشتركة (التحالف الغادر التعاملات السرية بين إيران وإسرائيل والولايات المتحدة)، راجع العرض الذي قدمته حتى قبل صدور الطبعة العربية للكتاب:

<http://alibakeer.maktoobblog.com/981017>

رؤية إيران لواقع التغيير الثوري في المنطقة العربية:

(أ) الموقف الإيراني من الثورات العربية:

أولاً: الحالة التونسية:

يعتبر حزب الله في لبنان السبّاق إلى إصدار بيان يربط بين الثورة التونسية والثورة الإيرانية، ويصوّر الموضوع على أنه في إطار المواجهة الأمريكية-الإسرائيلية البحتة،^(٣) إلا أنّ الموقف الرسمي الإيراني لم يتأخّر في التعبير عن هذا التوجه العام، خاصة عبر المرشد الأعلى ورجال الحوزة كالمرجع الديني الكبير آية الله نوري همداني،^(٤) وآية الله صافي كلباكاني الأستاذ بالحوزة العلمية وأحد المراجع الكبار في مدينة قم،^(٥) والمرجع الديني الكبير آية الله مكارم الشيرازي.^(٦)

وإذا كان من الملاحظ أنّ الشق السياسي أو التسييسي الإيراني للحدث التونسي^(٧) قد بقي في حدّه الأدنى؛ نظراً لمحدودية حجم ودور وموقع تونس في الخارطة الإقليمية، وفي المشروع الإيراني من جهة، ولسرعة تطور الأحداث وسقوط بن علي من جهة أخرى، فإن الموضوع اختلف تماماً مع وصول الثورة لمصر.

(٣) انظر: حزب الله يعبر عن افتخاره واعتزازه بانتفاضة الشعب التونسي، وكالة أنباء التقريب (تتا)، ٢٠١١/١/١٤م، على الرابط:

www.taghribnews.com/vdchz6nx.23n-6dt4t2.html

(٤) يقول: «إن الشعب التونسي قد استوحى نضاله من الثورة الإسلامية في إيران»، واصفاً الحكومة السابقة في تونس بأنها كانت عميلة للولايات المتحدة وحلفائها.

(٥) يقول: «الثورة التونسية انتصار للدين، الشعب التونسي قدوة لباقي الشعوب المضطهدة كما فعل الشعب الإيراني قبل ثلاثين عاماً».

(٦) يقول: «حدثت في تونس ثورة عظيمة تشبه إلى حد بعيد الثورة الإسلامية في إيران، فبعد أن اعتمدت الحكومة هناك على الأجانب اعتماداً تاماً ثار الشعب عليها، وأجبرها على الفرار من هذا البلد».

(٧) انظر للتفاصيل مواقف العلماء الإيرانيين ونموذج صحافي مقارن بين الشاه وبين علي، عن وكالة أنباء التقريب ووكالة أهل البيت للأنباء:

- إشادة المرجعية الدينية في إيران بالثورة التونسية:

www.taghribnews.com/vdcb90bf.rhbzspukur.html

- وجه الشبه بين ثورة إيران الإسلامية وثورة تونس الشعبية:

<http://alorwa.org/article.php?id=176>

مقال له بعنوان «إيران وميزان القوى الإقليمي»: (١) «إن النظام العراقي بقيادة صدام حسين لم يعد موجوداً اليوم، أمّا النظام الثاني المعادي لإيران والمتمثل بنظام طالبان الأفغاني، فقد تمّ التخلص منه.

واليوم فإن القادة الجدد للعراق وأفغانستان أكثر قرباً لإيران من أي طرف آخر، وبدلاً من صدام، لدينا الآن رئيس عراقي غير عربي، وفخور بمعرفته وإتقانه للغة الفارسية، وعدد كبير من أعضاء الحكومة العراقية والبرلمان العراقي كانوا قد أمضوا سنوات طويلة في إيران، وأنجبوا أولاداً لهم هنا، ودخلوا مدارس طهران، وتعلموا بها.

كذلك يحتل الشيعة اليوم في العراق ولبنان والبحرين مواقع مهمة داخل الأنظمة السياسية لبلدانهم؛ مما يعطي إيران كنتيجة لذلك اليد العليا في المنطقة».

وزاد عليه أن خرجت مطالبات داخل إيران بإقامة «إيران الكبرى» التي دعا على سبيل المثال الأمين العام لحزب الله الإيراني وعضو مجلس صيانة الدستور السيد محمد باقر خرازي إلى تشكيلها في كلام له منتصف آيار/ مايو ٢٠١٠م؛ لتمتد من أفغانستان إلى فلسطين، وتحكم الشرق الأوسط وآسيا الوسطى؛ بما يؤدي إلى تدمير إسرائيل والدول المنافسة المجاورة لإيران (الدول العربية)، وظهور المهدي المنتظر.^(٢)

لكن مع اندلاع الثورات العربية نهاية ٢٠١٠م وبداية عام ٢٠١١م، سرعان ما تعرّض المشروع الإيراني لهزة حاول القائمون عليه أن يقولوا بداية: إن الثورات تأتي لتصبّ في مصلحتهم، لكن سرعان ما تغيّر التقييم فيما بعد مع تطور الأحداث من بلد عربي إلى آخر.

(١) انظر:

Farzad Pezeshkpour, Iran and the Regional Balance of Power, 5/3/2007, at:

<http://mianeh.net/article/iran-and-regional-balance-power>

(٢) رجل دين إيراني يدعو لإقامة «إيران العظمى» تمهيداً لعودة المهدي الغائب، المختصر للأخبار، ٢٠١١/٥/١٦م:

www.almokhtsar.com/news.php?action=show&id=129789

www.elaph.com/Web/NewsPapers/2010/5/563089.html

ثانيًا: الحالة المصرية:

في الحالة المصرية بدأ الربط المباشر بين الثورة المصرية والثورة الإيرانية ١٩٧٩م في الدعاية الرسمية ل طهران واضحا وقويا ومركزا وهادفاً، وهو ما ينطبق على تخريجها للحدث أيضاً؛ لكونه يأتي في إطار ثورة هذه الشعوب على أمريكا وإسرائيل؛ إذ تطرق المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية علي خامنئي للموضوع شخصياً؛ لتأكيد هذا الربط، مشيراً إلى أن نضال الإخوان المسلمين ضد النظام هو «كصيحة الأمة الإيرانية التي أطلقت ضد أمريكا، وضد الفطرسة والاستكبار العالمي». ومن ثم قام بتخصيص خطبة له باللغة العربية؛ لتكون بمثابة الخط الرسمي للموقف الإيراني في رسالة للخارج وتوجيه للداخل.^(١)

ومثله أدلى عدد من المسؤولين الرسميين بسلسلة تصريحات، وبيانات مركزة في هذا السياق، ومنهم الجنرال يحيى رحيم صفوي المستشار العسكري لخامنئي، الذي قال في تصريح لوكالة فارس شبه الرسمية: «إن مصير مبارك سيكون كمصير الشاه، تطيح به قوى الثورة الإسلامية».^(٢)

وكذلك فعل المتشدد الراديكالي آية الله أحمد خاتمي، الذي قال: «إن ثورة مصر ستساعد على قيام شرق أوسط إسلامي، يركز على نموذج الحكم الإسلامي الإيراني». وهو ما يتطابق مع ما صرح به وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحى الذي أعرب عن ثقته بأن ثورة الشعب في مصر ستساهم في قيام شرق أوسط إسلامي، معلناً دعم طهران للتظاهرات المطالبة بسقوط نظام الرئيس حسني مبارك، ومضيفاً أن الشعبين المصري والتونسي أثبتا بأن عهد الهيمنة الاستكبارية على المنطقة قد ولى.^(٣)

(١) انظر: علي حسين باكير، صدى الثورة المصرية يصل طهران والنظام الإيراني يحاول أسلمتها، ميدل إيست أون لاين، ٢٠١١/٢/٨م، على الرابط:

www.middle-east-online.com/?id=104676

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) نفس المرجع السابق.

ثالثًا: الحالة الليبية:

في الحالة الليبية بدأ يبرز نوع آخر من التكتيكات في الموقف الإيراني، وقد حصل ما يشبه توزيع الأدوار بين من يركز على استغلال أمريكا للثورة الليبية للحصول على النفط، وبين من يهاجم نظام القذافي دون أن يوافق على تدخل عسكري، كما تم استغلال تدخل الناتو لحماية المدنيين للترويج لنظرية المؤامرة الغربية، وربط ذلك بالثورات العربية.^(٤)

رابعًا: الحالة البحرينية:

بلغ الاستثمار السياسي الإيراني ذروته في الحالة البحرينية؛ إذ ركزت إيران على أن الموضوع يتعلق بالمطالبة بالحقوق المشروعة، ثم سرعان ما دخلت من هذا الباب إلى التحريض العلني والعملي على قلب النظام^(٥)، وتحويله إلى جمهورية إسلامية، وإن من خلال التحركات السياسية^(٦)، أو الدينية^(٧)، أو

(٤) انظر:

SEMIRA N. NIKOU, (Iran Backs Libyan Rebels, Chastises West Over Oil, Bahrain), Tehran Bureau, 6/4/2011: www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/tehranbureau/2011/04/iran-backs-libyan-rebels-chastises-west-over-oil-bahrain.html

(٥) انظر: خامنئي نادى بالمظاهرات في البحرين وتونس ومصر.. وحزّمها في العراق! إيران توقد نار الخارج لتطفئ «الداخل»، الاقتصادية، ٢٠١١/٣/١٨، على:

www.aleqt.com/2011/03/18/article_516065.html

(٦) على الصعيد الداخلي: سواء في البرلمان الإيراني أو القنوات الرسمية الأخرى التي أصدرت تعليقاتها حول البحرين:

- على الصعيد البحريني: أعلنت ثلاث جماعات شيعية متشددة في البحرين أنها شكلت تحالفاً يستهدف الإطاحة بالنظام الملكي الحاكم، وإقامة جمهورية شيعية، وعلى رأس هذه الجماعات الشيعي المتطرف والأكثر قرباً من إيران: حسن مشيمع. للمزيد، انظر: المعارضة البحرينية تطالب بـ «جمهورية شيعية»، ميدل إيست أون لاين، ٢٠١١/٣/٨م: www.middle-east-online.com/?id=106486

(٧) على الصعيد الإيراني: صدرت العديد من الفتاوى الإيرانية التي تكفر نظام آل خليفة في البحرين، وترى مشروعية الإطاحة بهم.

وعلى الصعيد البحريني: يعد عيسى القاسم الممثل الشرعي للمرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية في البحرين، والزعيم الروحي لحركة الوفاق البحرينية المعارضة التي شاركت ودعت للمظاهرات، ورفضت الحوار الذي طرحته الحكومة، ومن أبرز المحرضين على الثورة على الحكم. للمزيد من التفاصيل، راجع: خامنئي يقف على رأس هرم ولاية الفقيه، قاسم أصدر على التصعيد وحزك الأدوات =

«حسين شريعتمداري» مستشار المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي، ومدير تحرير صحيفة «كيهان» شبه الرسمية، الذي اعتبر «أن البحرين جزء من الأراضي الإيرانية، وأن المطلب الأساس للشعب البحريني حاليًا هو إعادة هذه المحافظة إلى الوطن الأم والأصل»، أي إيران الإسلامية! ومثله «علي أكبر ناطق نوري» عضو مجمع تشخيص مصلحة النظام والرئيس السابق لمجلس الشورى الذي يرى «أن مملكة البحرين تابعة تاريخيًا لبلاد فارس، وأنها الولاية ١٤ من إيران».(٤)

والغريب أن عددًا من البحرينيين المعارضين يرددون هذا الكلام أيضًا(٥)، وهو ما يشير إلى ارتباط بينهم وبين إيران التي هددت دول مجلس التعاون الخليجي أنها لن تقف مكتوفة الأيدي

إزاء ما أسمته «إبادة الشيعة»، واحتلال البحرين عبر إرسال قوات درع الجزيرة.(٦)

خامسًا: الحالة السورية:

في المقابل، وعكس كل الحالات السابقة، عندما وصلت الثورة إلى سوريا، انقلب الموقف الإيراني بشكل كامل، وانقلبت معه مواقف أذرعه الإقليمية، فأصبحوا يدافعون عن النظام السوري بشراسة؛ بحجة أن هناك مؤامرة تحيكها القوى الغربية للنظام السوري، وأن ما يحدث هو فتنة على طريقة الفتنة الإيرانية ٢٠٠٩م

(٤) انظر: السياسات الجيوبوليتيكية الإقليمية لإيران: تفسير نزعة الهيمنة والسيطرة، مرجع سابق.

(٥) كالمعارض البحريني سعيد الشهابي الذي يقول: إن العرب احتلوا البحرين! في مقابلة له على البي بي سي. للمزيد: نص حديث سعيد الشهابي في ندوة الانقلاب:

www.fajrbh.com/vb/showthread.php?t=451

مقابلة مع محطة بي بي سي العربية: انظر الجزء الأول والثاني:

www.youtube.com/watch?v=yUykjafMWqY

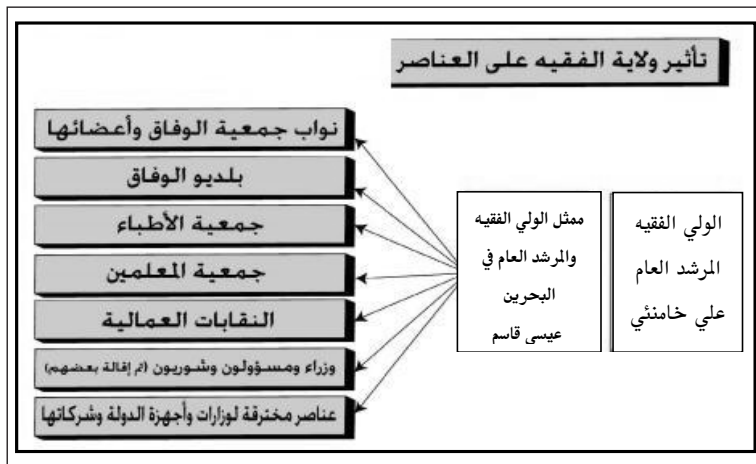
www.bahrainvoice.net/vb/showthread.php?p=155200

(٦) انظر: إيران تدق طبول الحرب في الخليج، اليوم السابع، ١٤/٢/٢٠١١م، على الرابط التالي:

www.youm7.com/News.asp?NewsID=369723&SecID=88

الإعلامية(١) الصادرة مباشرة من إيران، أو بطريقة غير مباشرة عن أذرعه في البحرين ولبنان(٢) والعراق والكويت.(٣)

رسم يوضح علاقة رجل الدين عيسى القاسم بالمرشد الأعلى وتأثيره في البحرين



ولم يكن ذلك بمفاجئ على اعتبار أن إيران، عبر قيادات رسمية، كانت قد أعلنت مرارًا وتكرارًا وبوضوح تام أن البحرين جزء من إيران، ومن هؤلاء

=التنفيذية الداخلية للمخطط الفاشل، جريدة إن إن، ١٠/٥/٢٠١١، على الرابط التالي:

www.nnarabic.com/index.php/archives/29188

(١) على الصعيد الداخلي: قامت وسائل الإعلام الإيرانية بالتحريض المذهبي والطائفي، وقامت بشكل حصري ببث بيانات بحرينية مفبركة، وباختلاق قصص أو تحريف قصص، والتلاعب بأشرطة الفيديو، وبث مقاطع على أنها من عمل الشرطة البحرينية في الوقت الذي كانت فيه وسائل الإعلام تبث نفس الشريط بمضمون مختلف. - على الصعيد البحريني: قامت وسائل إعلام المعارضة بنفس الأمر. انظر تقرير مقاضاة صحيفة الوسط:

www.bna.bh/portal/sites/default/files/alwasat.pdf

(٢) انظر موقف أمين عام حزب الله من الثورات العربية في مهرجان دعم الثورات (باستثناء سوريا)، أيضًا تحريضه على البحرين:

www.nowlebanon.com/Arabic/NewsArchiveDetails.aspx?ID=252053

www.alwatannews.net/news.aspx?id=cjiVNcYIXvb3jzLuaMHhPw==

(3) Bahrain: Government Accuses Hezbollah of Aiding Opposition in UN Report, 25/4/2011:

http://pomed.org/blog/2011/04/bahrain-government-accuses-hezbollah-of-aiding-opposition-in-un-report.html/

وممكن التخوف من هذا التوجّه، أنّ هذه الشعارات قد تعيد إحياء الحركة الخضراء الإيرانية التي كان النظام قد خاض معها معركة كسر عظم عبر الحرس الثوري، وميلشيا الباسيج، والأجهزة الأمنية بُعيد الانتخابات الرئاسية الإيرانية ٢٠٠٩م، التي أوصل النظام من خلالها أحمدى نجاد إلى الرئاسة مرة أخرى بالتزوير، ورغماً عن إرادة الناس الذي طالبوا بمعرفة أين ذهبت أصواتهم.^(٥)

قام الإعلام الرسمي الإيراني بحملة إعلامية دعائية قوية غير مسبوقة في الداخل الإيراني؛ لإيهام الإيرانيين بأنّ الذي يحصل عند العرب هو «ثورة إسلامية» على أمريكا وإسرائيل على طريقة الثورة الخمينية؛ للتورية عن أنها ثورة ضد ديكتاتورية السلطة السياسية

ولهذا السبب قام الإعلام الرسمي الإيراني بحملة إعلامية دعائية قوية غير مسبوقة في الداخل الإيراني؛ لإيهام الإيرانيين بأنّ الذي يحصل عند العرب هو «ثورة إسلامية» على أمريكا وإسرائيل على طريقة الثورة الخمينية^(٦)؛ للتورية عن أنها ثورة ضد ديكتاتورية السلطة السياسية.^(٧)

(في إشارة إلى الحركة الخضراء)^(١)، وأنّ المتظاهرين عملاء للخارج، ويتلقون أوامره من الأعداء والصهاينة؛ للإطاحة بالنظام الممانع، والمقاوم للخطط الإسرائيلية والأمريكية في المنطقة^(٢)، وهو ما يوجب على الشعب الحفاظ عليه، وعدم الاشتراك بالمؤامرة للإطاحة به، مع ثقة طهران بأن النظام قادر على تجاوز المشكلة، وإنهاء الفتنة.^(٣)

منطلقات وأهداف التنظير الإيراني لهذه

الرؤية:

وفي تحليل المواقف الإيرانية من الثورات العربية في عدد من البلدان، من الممكن أن نستنتج أنّ للحسابات الإيرانية ثلاثة أوجه مما يجري على الساحة العربية اليوم:

أولاً: على صعيد السياسة الداخلية:

الوجه الأول هو وجه الخائف داخلياً من أشكال هذه الثورات والشعارات التي تحملها، والسبب الذي انفجرت من أجله، والمتمثل في المطالبة بالعدالة الاجتماعية، والحرية في التعبير، والمشاركة السياسية، وتداول السلطة، والأهم من هذا مقاومة الديكتاتورية، والتسلط والنظام الأمني والقمعي، والتزوير في إرادة الشعب وأصواته.^(٤)

(١) لمزيد من التفاصيل حول الحركة الخضراء وصراعها مع النظام، انظر، علي حسين باكير وآخرون، إيران: المحافظون- الحركة الخضراء والثورات العربية، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب ٥٢، مايو ٢٠١١م.

(٢) انظر تصريح سفير إيران في دمشق السيد أحمد الموسوي، وكالة فارس للأخبار، ٤/٤/٢٠١١م، على:

<http://arabic.farsnews.com/newstext.aspx?nn=9001150102>

(٣) انظر: الرئيس الإيراني- سورية قادرة على تجاوز الأزمة، صحيفة الثورة السورية، ٨/٦/٢٠١١م، على الرابط:

http://thawra.alwehda.gov.sy/_print_veiw.asp?FileName=28167642920110608020414

(٤) علي حسين باكير، حسابات القوى الإقليمية في ضوء المتغيرات=

=العربية، مجلة البيان، عدد مارس ٢٠١١م، على الرابط التالي:
www.albayan.co.uk/MGZarticle.aspx?ID=757

(٥) نفس المرجع السابق.

(٦) نفس المرجع السابق.

(٧) وتعليقاً على هذا التوجه، تشير الصحفية الإيرانية «أزادة معاوني» إلى أنّ النظام الإيراني يريد تحويل الرسالة المصرية إلى الشعب الإيراني من خلال أسلمة الانتفاضة، لهدفين:

- الأول: استغلال إحباط الشعوب العربية من قياداتها، والعمل على توظيفها في إطار العداء مع الغرب كمؤشر على ازدياد شعبية إيران، وأحمدى نجاد تحديداً بين العرب، دون التطرق إلى موضوع أنّ العرب ينتفضون أصلاً ضد الديكتاتورية.

- الثاني: خوف النظام من أن يقوم الداخل الإيراني بالتركيز على الشعارات الأساسية للثورة المصرية، لذلك يعتمد الإعلام الرسمي الذي يبيت باللغة الفارسية على وصف الحدث المصري بمفردات إسلامية على أمل أن تصل رسالة مفادها أنّ المصريين متأثرون بالثورة الإسلامية الإيرانية. انظر:

Azadeh Moaveni , Nervous Tehran Sees Benefit — Maybe, Time, 30/1/2011:

www.time.com/time/world/article/0,8599,2045154,00.html

ثانيًا: على صعيد السياسة الخارجية:

أمّا الوجه الثاني فهو يسعى إلى توظيف الحدث، وما قد ينجم عنه بما يخدم المشروع الإيراني الإقليمي، وقد بدا ذلك واضحًا في حالة مصر والبحرين خصوصًا.^(١)

فمن مصلحة إيران نشوء أنظمة في المنطقة العربية على شاكلتها، وتدور في فلكها، وتكون ذات توجه ثوري أيديولوجي مماثل، وإن لم يكن ذلك ممكنًا، فأقله أن لا يكون مناقضًا لها؛ لأن من شأن نشوء مثل هذه الأنظمة أن تشكل حزامًا حاميًا للنظام الإيراني من جهة، وأن تسهل اختراقه للرقعة العربية بمساحتها الأوسع من جهة أخرى، فيصبح عمليًا هو القائد الحقيقي والفعلي إقليميًّا، لاسيما إذا جاء التحول المصري لصالحه.^(٢)

ولعل بعض الحسابات الإيرانية تشير إلى أنه حتى وإذا لم يأت نظام أيديولوجي قريب من إيران، فيكفي أن يكون النظام الوليد ثوريًا حتى يصطدم بإسرائيل مباشرة، أو بأمريكا، فتكون الفرصة الإيرانية سانحة للتخلص من جميع الخصوم دفعة واحدة، لاسيما وأن هزيمة عربية أخرى نتيجة لعدم الاستعداد لمواجهة العدو الإسرائيلي بشكل جيد قد تقضي نهائيًا على العالم العربي في الواقع الجيوبوليتيكي والجيوستراتيجي الإقليمي.^(٣)

(١) ويعلّق الخبير في مركز كارنيجي «كريم صادق بور» على استغلال النظام الإيراني للمشهد العام قائلاً: «إذا لم يفعل النظام ذلك، فإن التركيز حينها لن يكون على موضوع أنّ العرب يستلمون الراديكالية الإيرانية، لكن على موضوع أنّ الإيرانيين يستلمون الديمقراطية العربية»، وهو ما يشكل خطرًا عليه. ويضيف: «إذا حصل فراغ في السلطة والقيادة في مصر، فإن النظام الإيراني لن يقف في موقف المتفرج على الإطلاق؛ إذ سيحاول استغلال الوضع من أجل دعم الجهات التي تتماشى مع عقليته، خاصة أنّه أتبع هذه الاستراتيجية من قبل في العراق ولبنان وأفغانستان». انظر: نفس المرجع السابق.

(٢) علي حسين باكير، حسابات القوى الإقليمية في ضوء التغيرات العربية، مرجع سابق.

(٣) نفس المرجع السابق.

ثالثًا: على الصعيد الإقليمي:

الوجه الثالث للموقف الإيراني هو وجه الخائف من انهيار مشروعه الإقليمي بأكمله، وبالتالي ضياع جهد أكثر من ثلاثة عقود من الاستثمار السياسي والمالي، والأيدولوجي، والطائفي في المنطقة العربية، هذا الخوف الذي تم التعبير عنه برد فعل دائم ومؤيد للأنظمة (كالنظام العراقي)، والأذرع الحليفة له (كحزب الله في لبنان)، وقد بلغ الموقف ذروته في الدفاع المستميت عن النظام السوري، وتخوين الانتفاضة السورية، والثوار، ووصفهم بالعملاء والخونة والعصابات، والتكفيريين من قبل المحور الإيراني وأدواته.

انعكاسات الثورات العربية على المشروع الإيراني في المنطقة:

أولاً: دائرة الخليج العربي واليمن:

لا شك أنّ دائرة الخليج العربي تقع في سلّم أولويات إيران الجيوبوليتيكية، فتعزيز النفوذ الإيراني في هذه المنطقة، وتسيدها، والاعتراف بها القوة الإقليمية الأولى هو هدف كل التحركات الإيرانية في المنطقة العربية. بالنسبة لإيران تعتبر البحرين الخاصرة الرخوة للخليج تليها الكويت، لذلك فإن الاستثمار الإيراني في اختراق هاتين الدولتين واضح جدًا، لاسيما في السنوات القليلة الماضية.

المشكلة التي أظهرتها الأحداث في الحالة البحرينية أنّ الإيراني ليس فقط جاهزًا لاستغلال التحول، وإنما يضغط مستغلًا الأوضاع الإقليمية لصالح تحقيق خرق في دول مجلس التعاون، لقد كانت الحالة البحرينية بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير، بعدما كان كثيرون يتجاهلون المخاطر الإيرانية، وجاءت إدانة شبكة التجسس في الكويت لتزيد الوضع خطورة.

إلا أنّ تدخل درع الجزيرة بقيادة المملكة العربية السعودية في وضع حد للانقلاب الطائفي الذي

أو كونه فيدرالية)، فإن إيران ستبقى تحاول الاختراق والهيمنة في الخليج. (٤)

٢- العامل الأمريكي: (٥)

أما المشكلة الأخرى التي أكدتها الأحداث، فهي أن الأمريكي حليف غير موثوق، وقد يتخلى عنك في أية لحظة، وحتى لو تجاهلنا هذا المعطى، فهناك معطى آخر يشير إلى أن الأمريكي لم يعد قادراً على مواجهة التحديات الأمنية الإقليمية بفاعلية، فضلاً عن تأمين الحلفاء، وحالة كوريا الجنوبية التي تعرضت لقصف كوريا الشمالية خير مثال على ذلك، في وقت يتراجع فيه النفوذ الأمريكي العالمي في العديد من المناطق من أمريكا اللاتينية إلى شرق آسيا، ووسط آسيا، والشرق الأوسط، وإفريقيا.

وهذا الوضع لا شك إذا استمر سيفري إيران باستمرار المحاولات للهيمنة على الخليج، خاصة إذا ما استغلت طهران انشغال العالم الآن بالثورات العربية من أجل تسريع برنامجها النووي؛ لامتلاك القدرات العسكرية النووية.

أما الحالة اليمنية، فلا شك أن أهميتها بالنسبة لإيران إنما تتبع من كونها الفناء الخلفي للمملكة العربية السعودية، أكثر من أي شيء آخر. ورغم مطالبة إيران الحكومة اليمنية بالإحجام عن استخدام العنف، واحترام مطالب شعبها؛ لضمان وحدة البلاد، فقد ذهب بعض المراقبين إلى أن الموقف الإيراني إزاء الثورة اليمنية جاء متخبطاً؛ نظراً لعدم تمكن إيران من قراءة البديل المحتمل لعلي عبد الله صالح، وعمّا إذا كان النظام القادم سيصبّ في مصلحتها أم لا؛

(٤) لمزيد من التفاصيل حول هذه الفكرة، انظر مثلاً للباحث، ورقة بحثية حول الثغرات الخليجية في السياسة تجاه إيران ومخاطر تنامي القدرات الهجومية الإيرانية والتوازن الاستراتيجي في الخليج، مجلة آراء حول الخليج، مركز الخليج للأبحاث، دبي، العدد ٦٣، ديسمبر ٢٠٠٩، متوافرة على الرابط التالي:

<http://alibakeer.maktoobblog.com/1599426>

(٥) انظر: دول «التعاون» دعّت الأردن والمغرب خوفاً من الثورات والتهديدات، مرجع السابق.

اخترق مطالب المتظاهرين في البحرين، وهو الأمر الذي كان له كبير الأثر في وقف الزحف الإيراني على الخليج، ووضع خطأ أحمر لمن يعنيه الأمر بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي ترددت، بل تجاهلت العامل الإيراني. (١)

صحيح أن التدخل العربي والسعودي تحديداً في البحرين؛ جاء ليضع حداً للطموحات الإيرانية في الخليج، ويعرقل الطموحات الإيرانية في مناطق أخرى؛ من خلال الإضاعة على السلوك والنهج الإيراني الانتهازي الغادر للتمدد، وليجبر طهران على إعادة النظر في حساباتها (على الأقل ظاهرياً) (٢)، إلا أن ذلك لا يعني تخلي إيران مستقبلاً عن مشروعها للهيمنة على الخليج تحديداً، لاسيما في ظل عاملين أساسيين:

١- الضعف البنوي لدول مجلس التعاون: (٣)

إذ تبدو دول المجلس (بإستثناء المملكة نسبياً) ضعيفة (ديمقراطياً، عسكرياً، سياسياً)، وهي غير قادرة على تأمين محيطها الإقليمي بما يصون أمنها، واستقرارها، كما أنها غير قادرة على مواجهة المخاطر والتحديات خارج حدودها، ولا تمتلك الأدوات اللازمة لذلك، ولهذا فهي تعوّل بشكل مطلق على الحماية الأمريكية للخليج. وإذا لم يتم إيجاد حلول عملية لهذا الخلل البنوي (البعض يطرح إقامة اتحاد خليجي،

(١) انظر مقاربة نواف عبيد المهمة للموقف السعودي حول الولايات المتحدة وإيران والمنطقة:

Nawaf Obaid, Amid the Arab Spring, a U.S.-Saudi split, The Washington Post, 16/5/2011:

www.washingtonpost.com/opinions/amid-the-arab-spring-a-us-saudi-split/2011/05/13/AFMy8Q4G_story.html

(٢) انظر: خير الله خير الله، الخليج فاجأ إيران في البحرين... ولكن ماذا عن لبنان؟ ميديل إيست أون لاين، ٢٨/٧/٢٠١١م، على الرابط التالي:

www.middle-east-online.com/?id=114939

(٣) انظر: الباحث في العلاقات الدولية علي باكير لـ «العرب» دول «التعاون» دعّت الأردن والمغرب خوفاً من الثورات والتهديدات، صحيفة العرب القطرية، العدد ٨٢٨٨ - ٣١ مايو ٢٠١١م، متوافر على الرابط التالي:

<http://alibakeer.maktoobblog.com/1600099>

مختلف الظروف، وهي لا تسعى لاستغلال العامة فقط في هذا المجال، بل تستهدف أيضًا النخب المصرية، وليس أدل على ذلك من

قيام طهران باستضافة وفد مصري بعد الثورة مباشرة يضم رجال دين، وأكاديميين، ورجال أعمال، وصحفيين، وألقت على مسامعه التجربة الإيرانية في مقاومة الغطرسة والاستكبار، ونصرة المستضعفين،

وكيف أنّ الثورة الإيرانية كانت مصدر إلهام للشعب المصري.^(٢)

٢- الإسلاميون:

وتأمل إيران أن يسود مصر نموذج إسلامي يكون متأثرًا بها، أو على الأقل يتيح لها التأثير فيه، أو الدخول عليه؛ للتكامل معه. وهي في هذا المجال تراهن على ورقة الإخوان المسلمين^(٣) خاصة وأنّ لها نجاحات تاريخية في التفاهم معهم منذ ثورة الخميني، وفي استغلالهم أيضًا في كثير من المواضع، سواء في مواجهة شرائح أخرى من الإسلاميين كالسلفيين في مرحلة من المراحل، أو في تأمين الغطاء لشرائح أخرى كالشيعة (حزب الله، والصدر، وغيرهم) في مواجهة السنّة في هذه البلدان في مرحلة أخرى.^(٤)

(٢) راجع:

- الإيرانيون يرون «٢٥ يناير» وليد ثورتهم الإسلامية، المصري اليوم، ٢٠١١/٦/٣، على الرابط التالي:

www.almasryalyoum.com/node/462614

- العائدون من إيران وشرعية الديكتاتورية المقدسة، إيلاف، ٢٠١١/٦/١٢، على الرابط التالي:

www.elaph.com/Web/opinion/2011/6/661382.html

(٤) رغم أن العلاقة ساءت جدًا مؤخرًا بين إيران وأتباعها وبين الإخوان المسلمين في عدد من البلدان لاسيما في سوريا ولبنان والخليج، وبعض الأجنحة الإخوانية المصرية، وذلك على خلفية الثورات العربية والتجم على القرضاوي.

(٥) للمزيد من التفاصيل حول طبيعة العلاقة بين إيران والإخوان المسلمين، راجع:

نظرًا لمراهنتها السابقة على الحوثيين، غير أن تطور الأحداث جعلها تدرك أن هذه الثورة ثورة شعبية لا تستلهم الثورة الإيرانية، ناهيك عن الانشغال الإيراني في وضع البحرين سابقًا، وفي سوريا لاحقًا.^(١)

ثانيًا: دائرة مصر:

لا شك أنه مع سقوط نظام مبارك أصبحت قدرة إيران على التأثير في

الداخل المصري أكبر. صحيح أن نموذجها ليس جذابًا في هذه الظروف، ولا سيما بعد الحملة القمعية التي خاضتها السلطات الإيرانية إثر الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٩م ضد الحركة الخضراء، إلا أنّها لا تزال ترى أنّه من الممكن تسويقه. ونستطيع أن نقول: إنّ طهران تراهن على ثلاث بوابات لإعادة الدخول إلى الساحة المصرية بقوة، هي:

١- بروبغندا العداء لأمريكا وإسرائيل:

فإيران تدرك جيدًا مدى الحساسية التي يحملها الشعب المصري لأمريكا والكرهية لإسرائيل،^(٢) ولذلك فإن هذه البوابة تظل خيارًا جيدًا لإيران في

(١) للمزيد، انظر: إيران والثورة السورية.. نموذج للنفاق السياسي، صحيفة القدس، ٢٠١١/٦/١٤، على الرابط التالي:

www.alquds.com/news/article/view/id/273118

(٢) انظر مثلاً:

- محمد صادق الحسيني، جيو استراتيجيا العلاقات الإيرانية المصرية، وكالة أنباء فارس، ٢٠١١/٨/٨، على الرابط التالي: <http://arabic.farsnews.com/newstext.aspx?nn=9005170911>

- زيارة بروجردي للقاهرة تكتسب أهمية كبيرة (فهو أول مسئول رسمي إيراني يزور القاهرة بعد الثورة المصرية)، قناة العالم، ٢٠١١/٨/١٠، على الرابط

www.alalam.ir/boroujerdi39s-visit-to-cairo-is-of-great-significance

بروجردي من القاهرة : لن نسمح بأن تكون سوريا لقمة سائغة لأمريكا، وكالة أنباء فارس، ٢٠١١/٨/١٠، على الرابط التالي:

<http://arabic.farsnews.com/newstext.aspx?nn=9005190087>

٣- المرشحون للرئاسة:

ويعد هؤلاء مدخلاً ممتازاً لطهران إلى قلب مصر مباشرة. فإذا استطاع أحد المرشحين المتعاطفين مع إيران الوصول إلى سدة الرئاسة، فإن هذا يعني تغيير الكثير من المعطيات التي كانت تبدو وكأنها مُسلّمات في الماضي، وحصول انقلاب في السياسة

الخارجية تجاهها، خاصة أنّ هناك من بين المرشحين من هم معروفون بقربهم الشديد من إيران، سواء في الخط الديني^(١) أو في الخط السياسي^(٢) وآخرون متعاطفون معها.

والجدير ذكره أن معظمهم

صرح بضرورة استئناف العلاقات مع إيران، لكن

= - عرض كتاب «إيران والإخوان المسلمين» للباحث الإيراني عباس خامه يار، مجلة الراصد، العدد الثالث والثلاثون - ربيع الأول ١٤٢٧هـ، على الرابط التالي:

www.alrased.net/site/topics/view/54

- أسامة شحادة، موقف الشيعة وإيران من جماعة الإخوان المسلمين، مجلة الراصد، العدد الخمسون - شعبان ١٤٢٨هـ، على الرابط التالي:

www.alrased.net/site/topics/view/741

- Mehdi Khalaji, Egypt's Muslim Brotherhood and Iran, The Washington Institute for Near East Policy, PolicyWatch #1476, 12/2/2009, at:

www.washingtoninstitute.org/templateC05.php?CID=3014

- Mehdi Khalaji, Iran on Egypt's Muslim Brotherhood, "The Iran Primer", USIP, 25/2/2011, at:

<http://iranprimer.usip.org/blog/2011/feb/25/iran-egypt%E2%80%99s-muslim-brotherhood>

(١) ك «محمد سليم العوا» وهو من أبرز أصدقاء إيران على الإطلاق في الساحة المصرية، ومن أبرز المرشحين المحتملين للرئاسة.

(٢) كالسفير السابق عبد الله الأشعل: «أول خطوة لإعادة مصر قرارها المستقل هو إعادة العلاقات مع إيران.. لأن مصر حسني مبارك كانت تتأمر عليها مع غيرها بتعليمات أمريكية.. تتبعت الصحف التي تنشر ادعاءات ومزاعم عن وجود خطر إيراني على الأمة العربية فوجدتها إما في الخليج وإما مصرية ممولة من الخليج. انظر: الأشعل: إعادة العلاقات مع إيران برهان على استقلالية مصر، قناة الغدير الفضائية، ٢٠١١/٨/٢م، على الرابط التالي:

www.alghadeertv.com/newsdetails.php?id=7527

دون أن يتطرقوا إلى المقابل الذي يجب على إيران أن تدفعه، أو البنود التي يجب أن تلتزم بها، وهو ما يعني خللاً في طريقة التفكير تجاه إيران يعيدنا إلى مبدأ «المجانبة» الساذجة الموجود لدى بعض هؤلاء المرشحين.^(٣)

ثالثاً: دائرة فلسطين ولبنان:

مع الإطاحة بمبارك في مصر، وبدء الانتفاضة الشعبية في سوريا، بدأ الافتراق بين حماس وما يسمى «محوّر الممانعة»، الذي يضم النظام السوري والإيراني وحزب الله. فقد حرصت حركة حماس رغم الضغوط الهائلة التي مورست عليها من النظام السوري وحلفائه على أن تتأى بنفسها عن المآزق الذي يريد أن يزجها به.

مع الإطاحة بمبارك في مصر، وبدء الانتفاضة الشعبية في سوريا، بدأ الافتراق بين حماس وما يسمى «محوّر الممانعة»، الذي يضم النظام السوري والإيراني وحزب الله. فقد حرصت حركة حماس رغم الضغوط الهائلة التي مورست عليها من النظام السوري وحلفائه على أن تتأى بنفسها عن المآزق الذي يريد أن يزجها به.

حرصت حركة حماس رغم الضغوط الهائلة التي مورست عليها من النظام السوري وحلفائه على أن تتأى بنفسها عن المآزق الذي يريد أن يزجها به؛ حيث لجأ هذا المحور إلى الاستعانة بالمخزون -الوهمي- «للممانعة» من أجل تبرير قتله للناس، وبدأ واضحاً أن الحركة تريد أن تقف في الوسط بين الطرفين؛ بحجة عدم التدخل بالشئون الداخلية للدول العربية، تاركة مهمة تأويل بيانها الذي أصدرته بخصوص ما سمته «الأحداث

(٣) آراء مختلفة لبعض المرشحين للرئاسة في مصر حول العلاقة مع إيران مع إجماع على وصلها:

www.islamonline.net/cs/ContentServer?packedargs=locale%3Dar&c=IOLArticle_C&childpagename=IslamOnline%2FIslamOnlineLayout&p=adam&pagename=IslamOnlineWrapper&cid=1278408656336

<http://ar.trend.az/capital/viewpoint/1911713.html>

www.masrawy.com/news/egypt/politics/2011/march/9/baradei_election.aspx

<http://tiny.cc/128ph>

www.islammemo.cc/akhbar/arab/2011/04/18/121787.html

www.albayan.ae/one-world/arabs/2011-07-08-1.1468723

www.alalam.ir/opportunity-for-cooperation-between-iran-and-egypt-a-golden-opportunity

ما هي عليه، فمن المرجح أن تلجأ إيران إلى وسائل أخرى كالتحالف مع منظمات أخرى غير حماس، أو أن تستثمر في الجبهة الأخرى الأكثر تماسكاً في تحالفها، وهي جبهة حزب الله في لبنان.

وعلى عكس التطورات الجارية في العالم العربي عموماً، يتراجع النفوذ الإيراني (ولو مرحلياً) في عدد من الدوائر العربية، فإن لبنان سقط بداية عام ٢٠١١م بشكل كلي وكامل في دائرة النفوذ الإيراني، ومعه السوري، عند تفجير حكومة الوفاق الوطني التي يرأسها الحريري باستقالة ١١ وزيراً يمثلون حزب الله وحلفائه^(٦) (بما يخالف اتفاق الدوحة^(٧)) الذي ضغطوا سابقاً لإنجازه^(٨)، وانتقل ليخضع مع بدء الثورات العربية إلى دائرة القرار المباشر أيضاً لإيران وسوريا، مع استيلاء حزب الله على الوضع اللبناني بشكل كامل، مع تشكيل حكومة نجيب ميقاتي الذي أبصرت النور في الوقت الذي وصلت فيه الثورات العربية إلى دمشق.

على أن بقاء النفوذ الإيراني على حاله في لبنان، أو تراجع جلاء التطورات التي أحدثتها الثورات العربية في المنطقة سيعتمد خلال المرحلة المقبلة على عاملين أساسيين:

(٦) انظر لمزيد من التفاصيل: حزب الله يسقط حكومة سعد الحريري، صحيفة العرب القطرية، ٢٠١١/١٢/٢٠م، على هذا الرابط:

www.alarab.com.qa/details.php?docId=169290&issueNo=1123&secId=15

(٧) نص اتفاق الدوحة على سبيل المثال على: التعهد بعدم الاستقالة أو إعاقه عمل الحكومة، عدم العودة إلى استخدام السلاح لتحقيق مكاسب سياسية، إطلاق الحوار حول تعزيز سلطات الدولة، وقف لغة التخوين أو التحريض السياسي، أو المذهبي على الفور... وهي كلها شروط خرقها حزب الله عند انقلابه، وسيطرته على الدولة، فاستقال وزراؤه من الحكومة، واستخدم السلاح في أكثر من مرة في اشتباكات مع حلفائه (كالأحباش) وأيضاً في تغيير التركيبة النيابية اللبنانية والحصول على أكثرية نيابية عبر اليوم الشهير بيوم القمصان السود، وانسحب من طاولة الحوار التي أقامها رئيس الجمهورية أيضاً.

(٨) انظر نص اتفاق الدوحة: إسلام أون لاين نت، ٢٠٠٨/٥/٢١، على الرابط التالي:

www.islamonline.net/i3/ContentServer?pagename=IslamOnline/i3LayoutA&c=OldArticle&cid=1209357788485

الراهنه في سوريا الشقيقة^(١)؛ لما يرضي كل طرف.

لكن ذلك لم يكن كافياً على ما يبدو بالنسبة للنظام السوري وحلفائه الذين اختلفوا بياناً^(٢) باسم خالد مشعل يدين فيه تصريحات القرضاوي التي يدعم فيها الشعب السوري، وهو الأمر الذي تم نفيه من قبل حماس بشكل قاطع لاحقاً^(٣).

وهنا بدا أن الافتراق بين حماس ومحور الممانعة يظهر أكثر فأكثر، لاسيما مع الحملة المفتوحة التي اعتمدها حزب الله في دعم النظام السوري بكل الوسائل. ومع توقيع كل من حماس وفتح نهاية شهر نيسان/ أبريل اتفاقاً تاريخياً للمصالحة في القاهرة يتضمن تشكيل حكومة مؤقتة، وتحديد موعد للانتخابات العامة في الضفة الغربية وقطاع غزة^(٤). أصبح الأمر واضحاً، فقدرة سوريا وإيران على التأثير في حماس من منطلق التحالف المفتوح أصبح ضعيفاً جداً مع اتجاه الحركة إلى فصل نفسها - على الأقل في هذه المرحلة التي نشهدها - عن هذا المحور.

وعليه، فإن نفوذ إيران باعتراف القضية الفلسطينية، واستثمار الانقسام الفلسطيني بدأ يتراجع بشكل كبير، كما أن مصداقية العداء بين إيران وإسرائيل تلقت ضربة قوية مع فضيحة السفن الإسرائيلية التي ترسو في إيران^(٥) وإذا ما بقيت الأمور على

(١) انظر نص البيان: حول الأحداث الراهنه في سوريا الشقيقة، بيان حماس، ٢٠١١/٤/٢م، على الرابط التالي:

http://forum.rtarabic.com/showthread.php?t=92720

(٢) انظر نص البيان: مشعل يهاجم القرضاوي: سورية الوحيدة التي دعمت حماس، دي بريس، ٢٠١١/٤/١م:

www.dp-news.com/pages/detail.aspx?articleid=79565

(٣) انظر نص النفي: حماس تنفي انتقاد مشعل لمواقف القرضاوي من سوريا، ٢٠١١/٤/٤م:

http://arabic.cnn.com/2011/middle_east/4/4/hamas.qardawi/index.html

(٤) انظر: وفدا حماس وفتح يوقعان اتفاقاً تاريخياً بالقاهرة على المصالحة الفلسطينية، الحقيقة الدولية، ٢٠١١/٤/٢٨م، على الرابط التالي:

www.factjo.com/fullnews.aspx?id=26550

(٥) انظر: عوفر غيت: إيران تسب إسرائيل علناً، وتتعاون معها في السر، ميدل إيست أون لاين نت، ٢٠١١/٥/٣م، متوافر على:

www.middle-east-online.com/?id=111418

١- مصير النظام السوري:

لاغية، مع انتقالها من حالة تبني ثورات تونس ومصر لأهداف سياسية ومهاجمة الغرب في ثورة ليبيا لنفس الهدف، ومن ثم الانتقال إلى إخراج الحراك البحريني عن مساره، وصولاً إلى الدعم المفتوح لنظام الأسد وحلفائه.^(١)

١- سيناريو سقوط الأسد:

إذا سقط النظام السوري فسيسقط معه أهم وأكثر التحالفات الاستراتيجية ثباتاً في الشرق الأوسط خلال العقود الثلاثة الماضية، وهو ما يعني حصول زلزال جيوبوليتيكي ينهي النفوذ الإيراني في بعض المناطق، ويقلّصه إلى أدنى حد ممكن في مناطق أخرى، ويمتد من فلسطين إلى العراق، وقد يصيب إيران نفسها.

وانطلاقاً من كون سوريا المدخل الرئيس لاخترق إيران للساحة العربية، فإن فقدان نظام الأسد سيكون له تداعيات عميقة على بنية المشروع الإيراني في المنطقة، بحيث ستقطع الحلقة الواصلة مع حزب الله الذي يعتبر ذراعه الرئيس، كما سيفقد القدرة على التأثير المباشر مع سقوط المنظومة السورية السياسية والأمنية في لبنان.

وما ينطبق على لبنان ينطبق على الساحة الفلسطينية؛ حيث ستتقلص قدرة إيران على التلاعب بها إلى أقصى درجة ممكنة، إن لم نقل تفقدها كلياً مع وعي الفصائل الفلسطينية بخطورة الإبقاء على تعاون (مصلحي أو دائم) مع النظام الإيراني في مثل هذه الظروف.

(١) انظر وجهة نظر الباحث الإيراني مهدي خلجي حول تعرية الموقف الرسمي المتناقض داخلياً وخارجياً:

– Mehdi Khalaji, Influence Curtailed: Democracy in the Arab World Stands to Strip Iran of Its Power, AlMajalla, 12/4/2011, available on:

www.washingtoninstitute.org/templateC06.php?CID=1609

– Mehdi Khalaji, Iran and Syria, Aljazeera Network,

9/6/2011, available on:

www.washingtoninstitute.org/templateC06.php?CID=1659

إذ إن سقوط النظام السوري سيؤدي إلى انقطاع القناة التي تصل البحر الإيراني بالبركة اللبنانية التي يديرها حزب الله الآن. هذا الانقطاع سيؤدي إلى انقلاب سريع في المشهد اللبناني لغير صالح إيران وحلفائها. وحتى لو بقي حزب الله صامداً خلال الفترة الأولى لهذا الزلزال الجيوبوليتيكي؛ فإن موارده وقدراته ستشجّ مع مرور الوقت الذي من المرجح أن يكون سريعاً في حال نشوء نظام عربي سني جديد في دمشق.

٢- مصير حزب الله:

إذ إن لحزب الله وضعه الداخلي الخاص أيضاً، والذي قد انفجر في أي لحظة بمعزل عن سوريا وإيران. فسلح الحزب بدأ منذ العام ٢٠٠٠م يثير انقساماً في لبنان حول مدى مشروعيته، والاستثمار السياسي له، ومن ثم تعميق الانقسام بشكل كبير بعد عام ٢٠٠٦م، تلاه الاعتداء على بيروت وأهلها في عام ٢٠٠٨م، وإسقاط نتائج الانتخابات الشعبية، ومصادرة السلطة السياسية لمصلحته باستخدام السلاح، وصولاً إلى اتهام المحكمة المختلطة الخاصة برفيق الحريري عام ٢٠١١م عناصر تابعين لحزب الله باغتيال رئيس وزراء لبنان الأسبق، وأبرز زعيم سني وعربي على الإطلاق في تلك الحقبة.

رابعاً: دائرة سوريا:

لا شك أنّ الثورة الشعبية التي اندلعت في سوريا شكّلت ضربة قاصمة للمشروع الإيراني، وللمنطق الذي يقوم عليه، وللجهود التي بذلتها منذ ٣٠ عاماً للتغلغل في المنطقة العربية. وقد ولدت هذه الثورة الشعبية حالة من عدم التوازن في السياسة الإيرانية الخارجية، لدرجة أنّ مصداقيتها الخارجية لدى غالبية عظمى على الأقل من العرب أصبحت

النفوذ المتبقية: في موازاة الدعم اللامحدود لنظام الأسد، فقد أحكمت إيران سيطرتها في هذه الفترة على البلدان العربية التي تمكّنت منها، وعلى رأسها العراق ولبنان (بالتعاون مع النظام السوري)، وهي تقوم بتسخير قدرات هذه الدول وأهميتها الجيو-سياسية في إطار معركتها؛ لتعزيز وضعها الإقليمي في ظل حالة عدم الاستقرار

التي تشهدها المنطقة من جهة، وفي إطار دعم النظام السوري من جهة أخرى.

مع محاولة التحوط للخسائر بمكاسب إقليمية جديدة؛ وقد بدا الجهد الإيراني الحثيث والسريع واضحاً في محاولة كسب البلدان التي حصلت

فيها ثورات شعبية لاسيما مصر.

ولا شك أنّ مصر ستكون الهدف الأساس المقبل لإيران، فهذه فرصة مثالية مناسبة لاستمالتها لأجندتها، أو على الأقل استغلالها؛ لما لها من نفوذ إقليمي سياسي وديني ومركز مهم في العالم العربي، أو العمل على تحييدها لاحقاً للاستفراد بدول الخليج العربي، أو مراكز النفوذ الإيرانية في العالم العربي.

٢- سيناريو سحق الأسد للانتفاضة: (٣)

على الرغم من صعوبة التسليم بهذا السيناريو، إلا أنّ تصرفات النظام السوري تبدو في سياق عسكري، أممي، سياسي، إعلامي يعتمد على توظيف خبراته السابقة في القمع الوحشي، والتفاوض الدبلوماسي، وفي استغلال الأوراق المتاحة لتحقيق هدفه، مراهناً على أنّ للناس طاقتها أيضاً، ولا يمكنها الاستمرار

(٣) للاطلاع على مزيد من تفاصيل الخطة التي يراهن عليها النظام السوري عسكرياً وسياسياً وإعلامياً، انظر: علي حسين باكير، على ماذا يراهن النظام السوري؟ موقع قاوم، ٢٩/٦/٢٠١١م، متوفرة على هذا الرابط:

<http://alibakeer.maktoobblog.com/1600141>

كما ستفقد إيران القدرة على استغلال القضية الفلسطينية بالشكل نفسه الذي كان قائماً سابقاً، أو استخدام الساحة اللبنانية والفلسطينية للحصول على مكاسب قومية. ولذلك يتحرك النظام الإيراني على خطّين الآن:

- الدفاع المستميت عن نظام الأسد:

فالمسألة مسألة حياة أو موت بالنسبة له، لذلك يدافع النظام الإيراني عن نظيره السوري بكل ما أوتي من قوة. وقد أوردت العديد من التقارير أنباء عن قيام طهران بإرسال مستشارين وخبراء من الحرس الثوري:

تقنيين، وعسكريين، وأمنيين، متخصصين بمواجهة الثورات الشعبية، إضافة إلى دعم النظام السوري بالعتاد والأسلحة.^(١)

إضافة إلى ذلك، فقد قام النظام الإيراني بتوجيهات مباشرة من المرشد الأعلى علي الخامنئي بصرف ٣ مليارات دولار في حسابات الأسد كمنحة مباشرة عند بدء الاحتجاجات الشعبية، تلاها قرار بتخصيص ٩ مليارات دولار بشكل مستعجل، ودون أي شروط للنظام السوري لدعمه في مواجهة الثورة الشعبية، إضافة إلى ٢٩٠ ألف برميل نفط يومياً بشكل مجاني.^(٢)

كما تحرص إيران على إحكام السيطرة على مناطق

(١) انظر:

Revolutionary Guards and Ammo Dispatched to Syria, May 18, 2011: www.americanthinker.com/blog/2011/05/revolutionary_guards_and_ammo.html

(٢) انظر:

Iran offers \$9 Billion in financial aid to help prevent the fall of Assad in Syria, Green Experts Of Iran, 16/7/2011, at: <http://twitemail.com/email/245901604/11/Breaking-News%3A-Iran-offers--9-Billion-in-financial-aid-to-help-prevent-the-fall-of--Assad-in--Syria>

في صراع يأخذ أشكالا متعددة، دون أن ننفي إمكانية الدمج بين التصورين، كما كان يفعل النظام سابقاً، فتبقى العلاقة مع إيران قائمة كما هي اليوم.

٢- استعادة النظام قوته:

لن يكون الداخل السوري فقط في مأزق، بل من المنتظر أن تصبح المنطقة برمتها في مأزق؛ إذ سيحاول نظام الأسد أن يفرض سياسة الأمر الواقع على المجتمع الدولي، ومن باب القوة، وحينها قد يعطي هذا الواقع أفضلية لإيران في المنطقة، على اعتبار أنها تكون قد أحكمت السيطرة على الهلال الشيعي بشكل كامل (لبنان، سوريا، العراق، إيران) ما يجعلها في موقع أفضل إقليمياً.

خاتمة: خلاصة ومستقبل المشروع الإيراني:

لا شك أن الثورات العربية أثارت الكثير من التساؤلات حول موقع ودور طهران في المنطقة، والطريقة التي ستتفاعل بها الأنظمة العربية الجديدة معها، وإذا ما كانت الثورات ستصل إلى إيران نفسها في نهاية المطاف.

وحتى فترة ما قبل الثورة السورية، كانت معظم التحليلات تقول: إن الثورات ستؤدي إلى تقوية موقع إيران في المعادلة الإقليمية، على اعتبار أن موجة الثورات تتجه حصراً لضرب الأنظمة الحليفة للولايات المتحدة، وأن السبب الرئيس في ذلك هو التقاعس في نصرته القضية الفلسطينية، ومواجهة إسرائيل.

فأنصار هذه الرؤية التي تقول: إن الثورات عززت من موقع إيران ونفوذها، يستندون في ذلك على عدد من الحجج منها^(٣):

(٣) انظر: الثورات العربية والسياسات الأميركية تجاه إيران، قراءة في تقرير مركز الأمن الأمريكي الجديد، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، ٢٠١٠/٦/٦، على الرابط التالي:

www.aljazeera.net/NR/exeres/60BAF862-5863-47F4-8FBC-D1DE7C5E1772.htm

إلى ما لا نهاية في ظل العزلة الإقليمية والدولية التي تعانيها، وفي ظل وقوف العالم متفرجاً أمام المذابح الذي يقوم بها نظام الأسد ضد الناس الأبرياء العزل مستعيناً بالجيش والوحدات الخاصة والدبابات والمدفعية^(١).

كما أن هناك مخاوف دائمة من إمكانية أن يقوم النظام السوري بصفقة مع أمريكا أو إسرائيل مقابل بقاء النظام^(٢)، خاصة وأن للنظام السوري تجارب سابقة في عقد الصفقات مع أمريكا وإسرائيل، رغم كل ما يقوله عن الممانعة!!

في حال نجاح السيناريو القمعي هذا، فمن المنتظر أن يتجه الوضع إلى أحد مسارين:

١- بقاء النظام ضعيفاً:

وهو الاحتمال الأكثر ترجيحاً في هذا السيناريو. فقد يضطر حينها، وفي محاولة منه لاصطناع شرعية بديلة، أن يدخل في مناورة معقدة تشمل الاتجاه للتفاوض مع أمريكا وإسرائيل، ويعزل نفسه أكثر فأكثر عن إيران وحزب الله، (وفي هذه الحالة تفقد إيران الكثير من قدرتها في امتلاك القرار السوري أو التأثير عليه). أو على العكس قد يدخل مع أمريكا وإسرائيل

(١) تشير التقديرات إلى أن عدد القتلى من المدنيين على أيدي النظام السوري قد تجاوز الألفي قتيل في أواخر شهر ٧، وأن عدد المعتقلين تجاوز الـ ١٥ ألف معتقل. فيما تشير تقديرات أخرى إلى أن عدد الحقيقي للقتلى بلغ ٥ آلاف مع بداية شهر ٨، انظر:

http://almoslim.net/node/150026

www.elaph.com/Web/news/2011/8/675431.html

(٢) انظر على سبيل المثال:

- مصادر إسرائيلية: الأسد اقترح على واشنطن استئناف المفاوضات مع إسرائيل، صحيفة الشرق الأوسط، ٢٣/٥/٢٠١١م، على الرابط

التالي:

www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=623067&issueno=11864

- مصادر دبلوماسية: النظام السوري يريد المفاوضة على شاليت، أخبار الشرق، ١٨/٨/٢٠١١م، على الرابط التالي:

www.levantnews.com/index.php?option=com_content&view=article&id=8544:2011-08-06-03-29-30&catid=66:syria-politics&Itemid=118

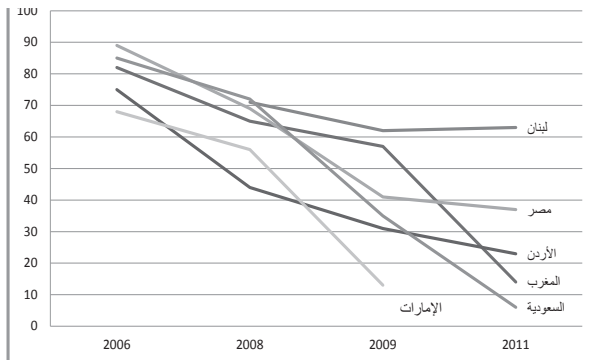
ويستند أنصار هذه الرؤية على عدد من المعطيات منها: (٢)

- أن سياسة القمع التي اعتمدها النظام الإيراني بعد الانتخابات الرئاسية ٢٠٠٩م، نفّرت الكثير من العرب من إيران.

- أن الصعود التركي وموقف تركيا من غزّة سحبا البساط من تحت إيران، وادعائها بأنها قائدة معسكر الممانعة.

- أن الدور الإيراني في العراق خلق معارضة سنيّة واسعة له في المنطقة العربية.

- أن تحالف إيران- حزب الله خسر بريقه الذي وصل الذروة في «انتصاره» على إسرائيل عام ٢٠٠٦م، ومن ثمّ فقد مع انغماس وغرق حزب الله في السياسة الداخلية اللبنانية.



استطلاع رأي حول النظرة إلى إيران في بعض الدول العربية المختارة (٢٠٠٦-٢٠١١) (٣)

- أن اتفاق الرأي العام العربي في مصر، وفي غيرها من الدول، مع إيران على كراهية إسرائيل لا يعني أنّ الرأي العام العربي يترجم ذلك بتعاطف مع إيران، أو أجندتها الخارجية الأوسع، خاصة أنّ بعض

(٢) الثورات العربية والسياسات الأمريكية تجاه إيران، مرجع سابق.

(٣) الاستطلاع أجراه مركز زغبى في يونيو/حزيران ٢٠١١م، ويظهر تراجعاً كبيراً وسلبية في نظرة العرب إلى إيران.

- أنّ الأنظمة التي تمّ الإطاحة بها هي أنظمة حليفة للولايات المتحدة، والمتبقية منها أيضاً تترنح تحت الضغط الشعبي.

- أنّ الرأي العام العربي معادٍ لإسرائيل، وغاضب من أمريكا.

- أنّ إيران نفسها تنظر إلى الأمر من زاوية أنّه «صحوة إسلامية»، وأنّ ذلك سيفيدها في النهاية.

- أنّ الأنظمة العربية الجديدة لن تكون مستعدة على الأرجح لاتخاذ إجراءات معادية لإيران، وحتى التي لا تزال قائمة ستكون حذرة من اعتماد سياسة خارجية لا تتمتع بزخم شعبي.

ومع تطور الأحداث بدا أنّ هذا التقييم غير صحيح من ناحية التخصيص، وأنّ المسألة لا تتعلق بمعطى خارجي مرتبط بالقضية الفلسطينية، أو باستعداد أمريكا، أو بالعداوة لإسرائيل؛ فالدوافع داخلية، والمطالب الأساسية مرتبطة بالحريات، والحقوق الأساسية: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية (دون تجاهل ما هو خارجي فيما بعد). (١)

كما أنّ إيران كانت تعاني أصلاً من تراجع في الساحة العربية، بالتزامن مع اندلاع الثورات العربية مطلع العام ٢٠١١م، وأنّ هذه الثورات جاءت لتضع إيران في مأزق، وهي تناضل الآن من أجل الخروج منه؛ لتجد مكاناً لها في البيئة الإقليمية التي ستبثق بعد هذه الثورات.

(١) للمزيد من التفاصيل حول هذه الفكرة، يرجى مراجعة:

- علي حسين باكير، قراءة في ديناميات التحول في العالم العربي، الجزيرة نت، ٢٠١١/٢/٨م، على هذا الرابط:

www.aljazeera.net/NR/exeres/05B772BC-A298-4C89-B657-547724487D6E.htm#4

- الأنظمة العربية مجبرة على تغيير جوهرى، مقابلة مع علي باكير،

صحيفة العرب القطرية، ٢٠١١/٣/٧م، متوافرة على هذا الرابط:

http://alibakeer.maktoobblog.com/1599963

أن تستغل اختلال التوازن الجيوبوليتيكي في مناطق أخرى، واستثماره لمصلحتها .

٢- **اقتصاديًا:** تؤدي حالة عدم الاستقرار التي تمر بها المنطقة إلى ارتفاع أسعار النفط، ما يعني عمليًا أن الثورات العربية لا تغذي فقط خزانة طهران المالية بالدولارات، وتحقق لها نموًا اقتصاديًا، وإنما تساعدها -وهذا هو الأهم بالنسبة

لها- على تقويض العقوبات

الدولية المشددة المفروضة

عليها، والتي كان لها وقع

شديد مؤخرًا، وإفراغ هذه

العقوبات من مضمونها؛

ما يحرر إيران من الضغط

الاقتصادي، وينسف في

نفس الوقت العمل الجماعي

الذي قادته أمريكا لسنوات

مع القوى الدولية، لاسيما روسيا والصين والدول

الإقليمية لحصارها والضغط عليها .

٣- **أمنيًا:** تدافع إيران عن نفسها تقليديًا عبر خط دفاع تقيمه خارج حدودها . وفي مثل هذا الوضع لا تواجه طهران مشكلة في حالة عدم الاستقرار الإقليمي، بل من المنتظر أن يؤدي ذلك إلى انشغال القوى الكبرى عن ملفها النووي، وأن يقوى موقفها وهو المطالبة بأن يتم توسيع برنامج التفاوض مع أمريكا ليضم مختلف الملفات الإقليمية بما يؤدي للاعتراف بنفوذها ومصالحها الاستراتيجية والحيوية في المنطقة .

كما أن صمود الأنظمة في البلدان التي تشهد انتفاضات أمام التدخلات العسكرية الأجنبية، كالنظام الليبي، يفيد إيران من ناحية جعل خيار التدخل العسكري غير جذاب مستقبلاً؛ لأنه غير مثمر، وبشكل ما غير فعال، وسيؤخذ بالضرورة في الحسبان قبل أن يتم التفكير في اعتماده ضد طهران .

ما كان من هذا التعاطف آخذ في التراجع .

وسرعان ما أدرك الجميع دقة هذا التشخيص

عندما وصلت الأمور إلى دمشق . ورغم أن الجزم بربح

أو خسارة إيران، وتقدم أو تراجع المشروع الإيراني

بشكل قاطع وبائن غير ممكن حاليًا، بانتظار جلاء

الأحداث كليًا، إلا أن ذلك لا يلغي إمكانية تقديم

تصور مستقبلي مكمل للتصور الذي قدمناه سابقًا

لانعكاسات الثورات العربية

على مصالح إيران والمشروع

الإيراني في الدوائر العربية

المختلفة، يتناول الانعكاسات

العامة المحتملة على المدى

القصير والمتوسط والبعيد

من خلال المعطيات المتوافرة،

ويمكن اختصارها فيما يلي:

أولاً: على المدى القصير^(١):

١- **سياسيًا:** قد تؤدي الثورات العربية إلى حالة من عدم الاستقرار، يتبعها نوع من الفوضى المؤقتة، وتعتبر إيران في هذا السياق أكثر قدرة على إدارة الوضع الإقليمي؛ لما تمتلكه من خبرة، ومن أدوات وأذرع إقليمية تخولها الصمود في مثل هذه الظروف التي طالما اعتادت العمل فيها، بل ومحاكاتها في كثير من الأحيان؛ لاستدراج بعض القوى للتفاوض والحصول على تنازلات . وفي مناخ كهذا، قد تستفيد طهران من الفراغ الحاصل في بعض الدول العربية، ومن حالة التخبط من أجل الدخول إليها، كما أن من الممكن لها

(١) انظر:

Ali Hussein Bakeer, Turkish-Iranian Relations in the Shadow of the Arab Revolutions: A Vision of the Present and the Future, (USAK) International Strategic Research Organization & The Journal Of Turkish Weekly, 5 & 8 July 2011:

www.turkishweekly.net/op-ed/2842/turkish-iranian-relations-in-the-shadow-of-the-arab-revolutions-a-vision-of-the-present-and-the-future.html

www.usak.org.tr/en/makale.asp?id=2190

ثانياً: على المدى المتوسط والبعيد^(١):

في المقابل، فمن المنتظر أن تعاني إيران على المديين: المتوسط والبعيد من خسائر فادحة قد تكون الأكثر كلفة على الإطلاق منذ الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، خاصة إذا ما أدت الثورات إلى سقوط النظام السوري، وهو ما سيتبعه تراجع دراماتيكي للنفوذ الإيراني في المنطقة العربية، بدءاً من فلسطين (وهو الأمر الذي أخذ يتحقق)، ومروراً بلبنان والعراق والخليج، وانتهاءً بإيران نفسها؛ حيث يترقب العديد من الشرائح المعارضة للنظام الإيراني مصير النظام السوري كمؤشر على وضع النظام في طهران.

وحتى لو نجا النظام الإيراني، فمن المرجح أن يصبح معزولاً، وألا يلقى نموذجيه الشيوعراطي أية جاذبية تُذكر، خاصة بعدما حصل عام ٢٠٠٩م، دون أن يعني ذلك أن ليس لهذا النموذج أنصار داخل البيئة العربية.

أمّا ميزان الفصل في المكاسب والخسائر وفق المدة الزمنية، فستحدده مستقبل الأحداث التي مازالت تتفاعل في ثلاث دوائر أساسية:

١- دائرة الشام أولاً، وعلى رأسها سوريا: إذا سقط النظام السوري سريعاً، فإن المشروع الإيراني للمنطقة

(١) نفس المرجع السابق.

في شكله الموجود المعروف حالياً سيكون في حكم المنتهي، بانتظار وضوح التداعيات الكاملة، والهزات الارتدادية لانهدار النظام السوري، والتي ستشمل المناطق الخاضعة للسيطرة الإيرانية سريعاً، وربما وصولاً إلى إيران نفسها.

٢- دائرة شمال إفريقيا وعلى رأسها مصر: وتنتظر إيران إليها على أنها فرصة لتوسيع نطاق مشروعها، وإذا ما نجحت في اختراق مصر (سواء مع حصول فوزى في إدارة الحكم، أو مع وصول نظام صديق إلى السلطة)، مع بقاء نظام الأسد، فسيكون ذلك مكسباً عظيماً لها، أما إذا كسبتها مع سقوط نظام الأسد، فإن ذلك لن يكون كافياً لتعويض خسارة الحليف السوري.

٣- دائرة الخليج وعلى رأسه البحرين: وستبقى عنصراً بالغ الأهمية في الحسابات الإيرانية؛ نظراً لأولوية منطقة الخليج العربي في المشروع الإيراني من جهة، ولكون البحرين النقطة الأضعف في هذا المجال من جهة أخرى، ولذلك فإن أي تطور على هذه الجبهة سينعكس سلباً أو إيجاباً في الحسابات الإيرانية مستقبلاً.

معلومات إضافية

أبرز التطورات الداخلية الإيرانية (معركة النجادية وولاية الفقيه):

في أبريل ٢٠١١م شهدت إيران أزمة عميقة بين أركان السلطة؛ متمثلة برئاسة الجمهورية عبر أحمددي نجاد وأنصاره من جهة، وبين ولاية الفقيه المتمثلة بالمرشد الأعلى وأنصاره من جهة أخرى؛ وذلك على خلفية إقالة وزير الاستخبارات حيدر مصلحي.

الفروع والأصول في الأزمة بين «النجادية» وولاية الفقيه:

في الفروع: تقدم مصلحي باستقالته تحت ضغط الرئيس أحمددي نجاد الذي سرعان ما قبل الاستقالة؛ إلا أن المرشد تدخل فرفض الاستقالة، ولم يكتف بذلك؛ بل أمر بإعادة مصلحي إلى منصبه.

حاول الرئيس أحمددي نجاد إظهار اعتراضه على موقف المرشد من خلال الاعتكاف؛ حيث غاب عن مقر الرئاسة، وعن اجتماعات الوزارة لأكثر من أسبوع. لكن سرعان ما عاد عن اعتكافه بعد اشتداد حملة الضغوط عليه من المرشد وأنصاره. ونُقل حينها عن حجة الإسلام مرتضى آقا طهراني تخبير المرشد لنجاد بين إعادة مصلحي إلى منصبه، أو أن يقوم الرئيس بتقديم استقالته.

في الأصول: هذه المعركة تعتبر امتداداً لمعارك سابقة أقل حدة؛ خاضها أحمددي نجاد مع المرشد بعد الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٩م. ويعود ذلك إلى تخوف العسكريين اليمينيين (نجاد وأنصاره) و (المرشد وأنصاره)؛ من أن يقضي أحدهما على الآخر في النظام السياسي بعد أن خلت الساحة لهم، إثر قيامهم معاً بإقصاء كل المنافسين المحتملين سابقاً دون استثناء؛ سواء من الإصلاحيين أو البرجماتيين أو اليساريين.

معارك «الحالة النجادية» مع المرشد الأعلى:

لم يسلم المرشد الأعلى ومعسكره من انعكاسات الحملة التي قادوها لدعم نجاد في انتخابات عام ٢٠٠٩م، فنظر إليه كثير من الخصوم على أنه تحول إلى «رئيس تيار حزبي»، وخرج عن موقعه مرشداً حاكماً للتوازنات في النظام السياسي الإيراني، وحكماً بين المؤسسات. في هذه اللحظة بالذات، ونظراً لما أسفرت عنه هذه المعركة القاسية من نتائج، اعتقد نجاد أن تياره أو «الحالة النجادية» أصبحت قادرة على التحرك باستقلالية من دون المرشد. لقد أدى ذلك إلى صدام بين أركان النظام متمثلة بالحالة النجادية في مواجهة الولي الفقيه، ومن أبرز معالمها:

١- تحدي نجاد للمرشد وأنصاره بعد انتخابات ٢٠٠٩م مباشرة، من خلال تعيين صهره «إسفنديار رحيم مشائي» في موقع النائب الأول للرئيس. وقد أثارت هذه الخطوة عاصفة من ردود الأفعال من رجال الدين المتشددين، ومن اليمين المحافظ في النظام الإيراني في وجه نجاد، ودشنت المعركة بين العسكريين، ودفعت المرشد الأعلى إلى كتابة فتوى في هذا الشأن تفرض عليه التخلي عنه. فاستقال «مشائي» بعد ثلاثة أيام من تعيينه في منصبه آنذاك، لكن نجاد عاد وعيَّنه في منصب رئيس مكتبه (كبير الموظفين)، واحتل في ما بعد قرابة ١٩ منصباً في النظام وفق بعض المصادر.

٢- معركة تعيين مبعوثين خاصين لنجاد (عام ٢٠١٠م) لمنطقة الشرق الأوسط وآسيا وأفغانستان وبحر قزوين، وكان من بينهم أيضاً مشائي وعددٌ من المقربين جداً منه. وقد أدى ذلك إلى اعتراض وزير الخارجية المقرب جداً من المرشد «منوشهر متكي»، فصرح قائلاً: «إن هذه الخطوة تسمح بإنشاء سياسات خارجية مستقلة للرئيس، وموازية لسياسة الوزارة؛ وهو ما سيؤدي إلى إضعاف الجهاز الدبلوماسي الإيراني، وتضارب في الصلاحيات». لكن نجاد انتظر سفر متكي إلى السنغال حتى يقوم بإقالته مما حال دون إفساح المجال لأحد بالتدخل، وقد عدّ ذلك انتصاراً للحالة النجادية في النظام، وبمثابة تحذير للمحافظين الأصوليين.

مخاطر «العقيدة المشائية» على المرشد الأعلى:

أما ملف الخلاف الثاني بين المعسكرين؛ فهو شخصية صهر الرئيس وما يحمله من أفكار. فالمرشد الأعلى وتياره وأنصاره يسمون «مشائي» إلى أقصى حد، وعادة ما يرمزون له ولتياره بـ «المجموعة المنحرفة»، ويوصف من قبل بعضهم بأنه «ليبرالي النزعة»، ومن قبل آخرين بأنه «قومي الأيديولوجيا»، ويعرف بمواقفه المستهجنة عادة، ومنها:

١- سبق له أن أعلن في عام ٢٠٠٨م - عندما كان في منصب نائب الرئيس الإيراني لشئون السياحة والثقافة - أن «إيران صديقة للشعب الإسرائيلي».

٢- سمح بإقامة حفل حملت فيه اثنتا عشرة فتاة إيرانية -كُنَّ يرتدين اللباس التقليدي- وهن يرقصن نسخةً من المصحف على طبق، وأثار ذلك جدلاً بسبب موقفه «المترافي» وغير المبالي من الحجاب الإسلامي؛ كما يتهمة بذلك المحافظون.

٣- صرح عام ٢٠١٠م بأن الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- من أصل فارسي وليس عربياً.

إن ما يخيف معسكر المرشد ويسبب كره الأصوليين والمحافظين التقليديين لمشائي هو ما يمكن تسميته بالـ«عقيدة المشائية» التي يدعو من خلالها إلى إيران إسلامية، ولكن بشكل مغاير عما هو موجود اليوم، وتكون نزعة التشيع فيها أكثر قومية.

فمشائي رجل مدني ليس من رجال الدين من جهة، وليس من رجال الثورة من جهة أخرى، وهو يؤمن بالتشيع «الإيراني» من جهة، وبالقومية الفارسية من جهة أخرى.

ويرى محللون أن نجاح تحالف «الحالة النجادية مع العقيدة المشائية»، وتمهيد أحمدي نجاد لصهره في منصب الرئيس لانتخابات عام ٢٠١٣م قد يطيح كلياً بمعسكر المرشد الأعلى، بل قد يغيّر شكل النظام السياسي باتجاه تقييد صلاحيات الولي الفقيه، ودور المرشد الأعلى المطلق في النظام السياسي الإيراني.

وتعتمد الحالة النجادية على بعض الشخصيات المزروعة في مفاصل النظام، بالإضافة إلى نفوذ داخل الحرس الثوري، وشريحة واسعة من طبقة الفقراء التي يحرص نجاد على الفوز بها من خلال الدعم المالي الاقتصادي، أو من خلال الترويج للصور المرتبطة باتصاله مع الإمام الغائب، والحصول على بركته ودعمه، والتحضير لظهوره.

أما المشائية، فهي تراهن على تجيير الكتلة الشعبية الموجودة خارج اللعبة السياسية: من (قوميين وعلمانيين

لا يرون به رجل دين، ومن إسلاميين معتدلين لا يرون به محافظاً متشدداً، وربما من فئات أخرى ترى فيه نقطة التقاء مع توجهاتها).

نتائج المعركة بين المعسكرين وانعكاساتها:

إن حرص نجاد على إقالة صالح، أو دفعه للاستقالة كان يتعلق بمدى تقييمه لدور وزارة الاستخبارات في الانتخابات المقبلة -سواء البرلمانية أو الرئاسية-، وبضرورة أن يكون المركز لأحد المقربين لدائرته مع مشائ. ولعل استفحال «حالة النجادية»، وإدراك المرشد وتياره لهذه المعطيات عجل بجعل ملف صالح معركة كسر عظم بين المعسكرين، فاستنفر المرشد الأعلى تياره وأنصاره والتابعين له في المؤسسات بما فيها البرلمان الذي يرأسه لاريجاني خصم نجاد لمواجهة.

لقد أسفرت هذه المعركة عن أضرار كبيرة لنجاد وحلفائه، كان منها:

- ١- اضطراب الرئيس للعودة عن اعتكافه بعد ١١ يوماً، مع بقاء موضوع صالح.
- ٢- اعتقال عدد كبير من أنصار الرئيس والمقربين، ومن دائرته الخاصة (ما يقرب من ٢٥ شخصاً)، تردد أن من بينهم الشيخ عباس أميرى فار الذي يرأس الدائرة الدينية في القصر الرئاسي الذي أنتج فيلم «ظهور إمام الزمان»، بذرائع شتى، منها ترويجهم للخرافة، وتقديس نفس الرئيس؛ بزعم أنه من الممهورين لظهور المهدي المنتظر.
- ٣ - تقييم الرئيس، والتقليل من دوره؛ من خلال تقليص حجم حكومته بإخراج عدد من الوزراء المواليين له في وزارات أساسية، مثل النفط و«الصناعة والمناجم» و«الشؤون الاجتماعية»، مع أن الرئيس فسّر ذلك على أنه استجابة للمخطط الخماسي الخامس (٢٠١٠ - ٢٠١٥م).
- ٤- تعرّضه لحملة كبيرة تجبره على وجوب «الطاعة العمياء» للمرشد، وعدم المناقشة أو المجادلة.

المصدر:

علي حسين باكير، محددات فهم الصراع على السلطة في إيران: تحالف النجادية مع «العقيدة المشائية» ضد ولاية الفقيه، مجلة البيان، عدد ٢٨٧ رجب ١٤٣٢ هـ/ يونيو ٢٠١١م (باختصار).

